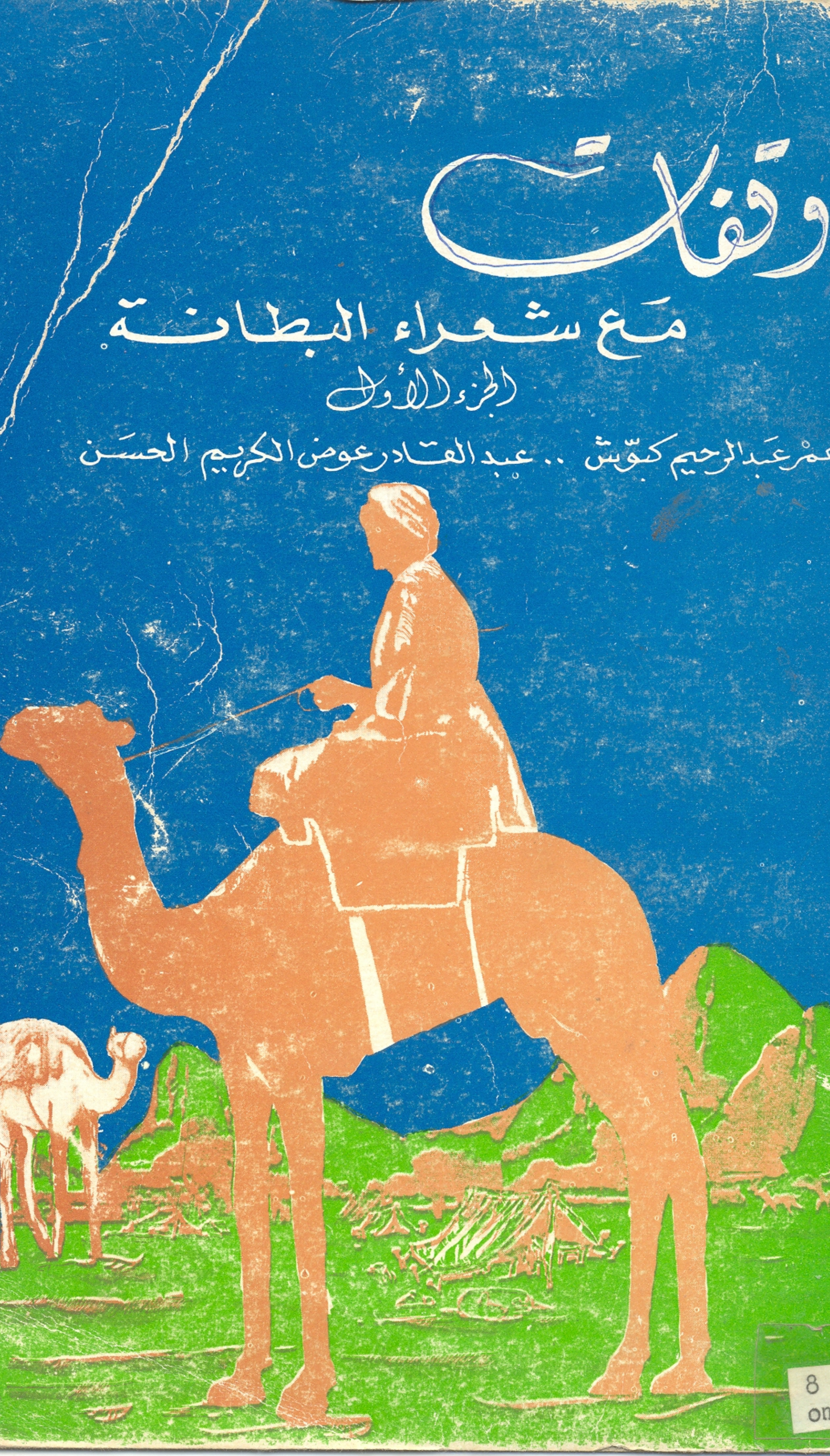


وقفات
مع شعراء البطانة
الجزء الأول
عمر عبد الرحيم كبوش .. عبد القادر عوض الكريم الحسن
8

وقفات

مع شعراء البطانة

الجزء الأول

عمر عبد الرحيم كبوّش .. عبد القادر عوض الكريم الحسن

١٩٨٩م

الطابعون: دار جامعة أم درمان الإسلامية للطباعة والنشر

اهداء

الى هذا الشعب البطل الذى علمنا معنى
الوفاء والصمود

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

بدأنا هذه الدراسة بجهد مكثف ورحلات ميدانية عديدة بعضها ممتع وبعضها تكتنفه بعض الصعاب.

لقد جبنا العديد من مناطق سهل البطانة الواسع حيث التقينا بالكثير من شعـراء البطانة وكتبنا عنهم مئات القصائد فى شتى ضروب الحياة وأثبتنا لبعضـهم الكثيرمن الشعر الرائع ولم يكن مصير الآخرين الاهمال إلا أن الموضوعات تتشابه وعليه فقد أوردنا ما أوردنا كنماذج فقط وإن كنا قد أستخدمنا طريقة تقليدية لإبراز موضوعات هذه الدراسة.

كان بودنا أن تخرج موضوعات هذه الدراسة متكاملة دون تجزئة ولكن نسبة لكثرة الموضوعات التى تحتوى عليها مادتها ولظروف خارجة عن إرادتنا اضطررنا إلى تقسيم هذه المادة إلى جزئين.

تحتـوى مادة الجـزء الأول والتى هى بين أيديكم على مدخل بسيط درسنا فيه بعض جوانب الحياة فى أرض البطانة، حيث تعرضنا لبعض العادات والتقاليد البارزة لقبائل سهل البطانة ثم تناولنا بعد ذلك الكثير من طبيعة أرض البطانة من خلال شعر شعرائها وأوردنا لبعضـهم الكثير من الأشعار ولم نورد للبعض الآخر بالرغم من أنهم قد وصفوا الطبيعة وصفاً رائعاً. بعد ذلك ولجنا باب الابل وتحدثنا بأسهاب عن سرقتها وعن المهـاجره «الهنباته» ودوافع السرقة الأجتماعية والنفسية والاقتصادية وأوردنـا الكثـير من شعر هؤلاء المهاجره وأخيراً درسنا باسهاب شاعرة المرغماب شغبه وأثبتنا لها الجيد من الشعر فى مختلف الأغراض اعتقاداً منا بأنها أهم الشواعر السودانيات فى تاريخنا القديم والحديث. أما الجزء الثانى والذى يشمل بقية الدراسة والذى نأمل أن يكون فى متناول أيديكم فى الأيام القريبة العاجلة يحتوى على الأغراض الشعرية الآتية:

الفخر، المدح، الهجاء، المناحة، وشعر الغزل بمختلف أغراضه.

نحن لا ندعى الكمـال لهذا العمل ولكننا نأمل كل الأمل أن يعقبنا آخرون لمواصلة الجهد الذى بذلناه وسد الثغرات التى لم نوفق فى تغطيتها

فالمرء قليل بنفسه كثير بأخوانه عاجز بنفسه قدير بهم عذرنا فى ذلك أن أرض البطانة واسعة الأرجاء فمن الصعب الطواف على جميع أجزائها لمعرفة كل شعرائها هذا بالاضافة إلى شح المراجع وقلة الامكانات خاصة أننا نعمل بالوظائف الديوانية ولاشك أن مثل هذا العمل يحتاج إلى فراغ يمكن من جمعه وتمحيصه وعرضه.

لقد قام أستاذنا الكبير عبدالقادر شيخ ادريس أبوهالة بجهد مقدر للتقديم لهذه الطبعة وقد أشتمل تقديمه على جزئى الدراسة مما أثار فى أنفسنا الحماس الدافق لبذل جهد أكبر لاصدار الجزء الثانى الذى نثق فى أنه سيكمل هذه الدراسة. ويجعل فائدتها أكبر وأشمل للقارىء الكريم... فله منا كل الثناء وكل التقدير.

المؤلفان

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم بقلم:

الاستاذ عبد القادر شيخ ادريس (ابو هالة)

أطلعنى المؤلفان على مخطوطة كتابهما «وقفات مع شعراء البطانة» فأسمت طرفى فى حديقة غناء، ذات أفواف منوعة وأنسام مضوعة، غصونها مايسة، وطيورها صادحة، منسقة الزهور، فواحة العطور، فيها من طيوب البوادى العرار والخزامى ومن عطور الحواضر فواغى الطيب وشذى العذارى وعايشت أرض البطانة كما رسمها فى هذه اللوحات الفنية الحية الشاعر ود الشلهمة حيث قال:-

بَرْقكْ قَلَّعْ السَّارْيَه أُمْ سحاباً صَاحْ
وُتَعَالكْ كَتَمْ منْ الهَوَى اللَّحَّاحْ
رَعَدكْ رَزَّ فى المطرْ التَّقيلَه وُقَاحْ
وُبَارْدِكْ لاَقَى شَمْسْ الغِيبَه باكرْزاحْ

●●●

أَسَمَّحْتِ من صيفَةْ خَلاَ وُقَهَبُونَه
وَانفَشَّتْ سحَابْتِكْ فُوقكْ المَشْحُونَه
أَصْبَحَتْ المَوَاطِى والضَّهُورْ مَطيُونه
وَاتْكَسيتِ بى تِيَاباً مُنَوَّعْ لُونَه

●●●

فيكِ لُونْ الصَّفَارى كَالبَرصْ مَجْليةً
اَللَبلَبْ حُمرْتُو تَقُولْ عُيُونْ قُمرْيَّه
التَّبَرْ انْفرَشْ عِرْقُو وُفرشْ شَمشْيه
يَضْرُبْ فى شُعَاعْ شَمْشْ الصَبَاحْ النَّيه

●●●

اسَمَّحْت منْ صيفَه وُسَمُوما قَالْيَه
وَاتْلاَقَتْ سَوارِيَكْ بالصَّبيبْ متْوالْيَه
فَكِّيت الدّعَا شَاتْ والنَّسَائمْ الَحالْيَه
عَرَبِكْ خَتَت بى نِيبْ والضُّهورْ العَالْيَه

●●●

اتْكسيت بى لُونا لبَسْت جَديدْ
وْتَصْبح كُلَّ يُوم نَايرْه وُحَلاَتَه تَزِيدْ
تَعَّالكْ نَزَلْ سَاوَى الضُّهورْ واللِّيدْ
وَاجَادَعْ فَرِيقكْ فى نزلتُو بَعيدْ

●●●

نَارْ وَجْهكْ خَلاَصْ وَأصْبَحْ عَريسكْ بَاشْ
وُسيلِكْ لى عَلاَوِيكْ وبالمرَاتِعْ كَاشْ
نَفَسكْ منْ سَمُومْ تَحَلِّى جَابْلُو دَعَاشْ
وُعَرَبكْ لِى جَفَافُنْ جبدّوُ الْبَرَاَّشْ

وفى رؤيتى أن المؤلفين بذلا جهداً مشكوراً وقدما عملاً مقدوراً فيه دقة التوثيق وعناية التحقيق، ولا غرابة فهما نبت البطانة درجا على أرضها الدحوة وأظلتهما سماؤها الصحوة.

لقد قاما بمسح دراسى على مواقع البطانة المخصبة والممحلة والتقيا بشعرائها على الطبيعة فى الحل والظعن وحاولا أن يستبطنا هذا العمل التراثى الشعبى العظيم حيث تلقياه من أفواه الشعراء وذاكرة الرواة وممن لم يستطع غيرهما أن يلتقى بهن من قواعد النساء.

وقد قسما الكتاب تقسيماً فنياً، الوصف والغزل والهنبته «الصعلكة» والمدح والرثاء وركزا على بعض الشعراء الذين لم تنل أعمالهم الفنية دراسة موضوعية وتركا أولئك الذين حظيت أعمالهم بالعرض والتحليل، فتعرفت اليهم حفنة من القراء والدارسين، حرصاً منهما على ان يقدما التليد الطريف، وقد وفقا مع ضيق الامكانات والمعينات ورغم المعوقات والمثبطات، فهما يعملان بالوظائف الديوانية، ومثل هذا العمل الذى قاما به يحتاج الى فراغ يمكن من جمعه وتمحيصه وعرضه ولو وجدا عوناً من الجهات المعنية بمثل هذا اللون من التراث الفنى الشعبى لزاد ثراؤه وفاض عطاؤه.

وقفات مع المدخل:

حقاً كان المدخل فاتحة للتعرف على مواقع أهل البطانة القاطنين والظاعنين فى «الدمر» و «النشوق» وعلى قبائلها المتعددة، وحياتهم المعيشية والاقتصادية وعاداتهم وتقاليدهم فى الأفراح والأتراح وعلاقاتهم الاجتماعية، وهذه العادات الحياتية والتقاليد الاجتماعية فيها كثير من سمات وعادات وتقاليد عرب الجزيرة العربية الذين انحدروا منهم وبخاصة أهل الوبر فيهم فمثلا قولهم فى البكاء على الميت وهم يخاطبون الشجر «انت مخضر وفلان متحدر» يذكرنى بقول ليلى بنت طريف ترثى أخاها الوليد وهى تخاطب شجر الخابور قائلة:

أيا شجر الخابور مالك مورقاً * كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد إلا من التقى * ولا المال إلا من قنا وسيوف
حليف الندى ما عاش يرضى به الندى * فان مات لم يرض الندى بحليف

وكذلك عادة عدم البكاء على النساء يذكرنى بقول البحترى وهو مخضرم الحاضرة والبادية ولكن كانت تلاحقه رواسب بدوية فنسمعه يقول وهو يعزى أبا نهشل الطوسى عن ابنته:

أتبكى من لا ينازل بالسيف * مشيحاً ولا يهز اللواء!!
ولعمرى ما العجز عندى إلا * أن تبيت الرجال تبكى النساء!!

وهناك وقفات تطول وتقصر مع الهنباتة ولقياهم مع شعراء العرب الصعاليك فى كثير من الأساليب وبخاصة عروة بن الورد أو عروة الصعاليك الذى تمنى أحد الأمراء أن يكون أباه لما تحلى به من الكرم والاشتراكية العملية والنخوة العربية الأصيلة فقد كان يأوى الفقراء فى أوقات المحل والمسغبة فيطعمهم ويسقيهم ونسمعه يفخر ويعتز بهذا الكرم الفياض.

إنى امرؤ عافى إنائى شركة
وأنت امرؤ عافى إنائك واحد

وهناك وقفات تطول وتقصر مع حفيد أشياخ الشكرية الشاعر الفحل صاحب المطولات أحمد عوض الكريم ود حمد فى رحلته مع الظباء ويعجبنى حبه لها ودعواته لها بالنجاة من القناص و «الدوار» فهى منهم فى حماية شيخ الطريقة والاولياء النادرين.

مِن صَدَفْ الْبُقَنْصُوا وُحَايْمَةْ الدَّوَارْ
حَوَ شيخْ الطَرِيقَةْ والأوْليا النُّدَّار

ولقد هام الشاعر أحمد ود عوض الكريم فى كثير من أودية الشعر وله فيها القدح المعلى ولنقف عند هذه الصورة التى رسمها للجمال العربى الأصيل:

يَانُومى اللَّبيتْ للعينْ تَعُودْ وتْمِيلْ
عَسَفكْ منى مُرْنَاعاً ظَرِيفْ وجُمَيلْ
قامْتُو رَبيعَه خَدُّو أسيلْ وطرْفُو كَحيلْ
يَموجُ مُتَّاكِى مِنْ أرْدَافُو يَمْشِى وَحيلْ

ويذكرنى عجز البيت الاخير بقول الشاعر الشعبى الغنائى:

من كفيلك تتوحلى حنانه ريدك ما بنمحى

وكلا الشاعرين يؤشران من بعد لقول الشاعر العربى القديم:

ودع هريرة ان الركب مرتحل
وهل تطيق وداعاً أيها الرجل
غراء فرعاء مصقول عوارضها
تمشى الهوينا كما يمشى الوجى الوحل

وأذكرنى قول الشاعر فى غزله وهو يناجى ابن عمه «عماره»:

يَا عُمارَه الْعَفيفَه الْ لِلْدُنَاةْ مى هَدْيهَ
خلَّتْ قَلْبِى كالْسَجَّاعْ بِيَعْمَلْ شدْيه

أذكرنى قول استاذنا العقاد فى قصيدته العصماء «ليلة الوداع»:

كأن فؤادى طائر عاد إلفه
إليه فأمسى آخر الليل شادياً

وفى غزل الشاعر مشابهة كثيرة كأغلب شعرائنا الشعبيين فى الصور والتشبيه لشعرنا القومى الفصيح يمكن أن يكون مدخلاً للدراسة المقارنة وكذلك فى وصف الصحراء ومافيها من جامد وحى وصامت وناطق وذلك لتقارب البيئة الطبيعية والمعاشية.

ووقفت مع الشاعر ود العوض وهو يفضل فتيات البادية على عذارى الحاضرة وان الحاضرة بحسنها المجلوب لايمكن ان تنسيه البادية وحسنها المطبوع:

مَا بْشيقْنى القَضَارفْ وُبَنْدَرُو أبْ تَكَّالْ
مَا بْتَنسِينى أُنْسَ الشَّابِلْ المُتْقَالْ

أذكرنى قول أبى الطيب فى نفس المعنى حيث يقول:

أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها
مضغ الحديث ولا صبغ الحواجيب
اين المعيز من الآرام ناظرة
وغير ناظرة فى الحسن والطيب

أما المدح فى تراثنا الشعبى فهو صورة من المدح العربى الشجاعة والكرم والنجدة والغيرة وغيرها من مكارم الفضائل وعظيم الشمائل وكذلك الفخر بالعشيرة والذود عنها وكذلك الرثاء فهو ذكر لمحاسن الفقيد وإنى أذكر قول أحمد ود أبشريعة يرثي بشير ود كمبال من رجالات قبيلة الشايقية العدلناب حيث يقول:

حليلُو فَرَجْ الْهَمْ
أَبْ طبْعاً عَفيفْ حَاشَاهُ ما بنْضَمْ
وَكْتَ الشّوفْ يَشُوفْ نحَاسُو بتْرَزَّمْ
فَرْتَاقْ أَمْ لَبُوسْ سَقَّايْ عَقيدِنْ سَمْ

والذى يحمد للمؤلفين توثيق الكتابة عن شفبه أميرة شعراء البطانة كما لقباها حيث أعتمدا على مصادر حية مشافهة من بعض افراد قبيلة الكمالاب والمرغوماب وكانت الشاعرة مسعرة حرب فقد أشعلت نارها كأنها حرب البسوس أو يوم حليمة ليس بسر.

هذه وقفات سريعة رميت من خلفياتها الى مؤشرات توضح بعض جوانب البحث وتدفع إلى متابعته ولا يفوتنى أن أجزل الثناء على هذين المؤلفين فقد أضافا جديداً الى المكتبة الشعبية السودانية التى ما تزال ترغب من الدارسين البحث والتحقيق حفظاً للتراث وإيماناً بجدواه فهو ركيزة من ركائز الوطنية الأصيلة تقوم عليها أصالة الشعب الفنية وهذا ما فطن إليه كثير من الشعوب، فأقامت لدراسة أدابها الشعبية مكانة فى مناهج جامعاتها وأصبح من المواد المنهجية ومن منطلقات الدراسات الفنية العليا وأدبنا الشعبى يمتاز بقربه من أدبنا القومى صوراً وأسلوباً ولغة فى كثير من فنونه ولا شك أن المؤلفين أسهما فى عرضه وتحليله وأول الغيث قطرة ثم ينهمر.

عبد القادر شيخ ادريس «ابوهالة»

مدخل
سكان سهل البطانة

قبائل سهل البطانة كثيرة ومتعددة ولعل أكبر تلك القبائل هى قبيلة الشكرية، وتتفرع هذه القبيلة إلى عدة فروع أهمها :ـ

السناب، النوراب، العيشاب، المهيدات، البلعلاب، العكيكاب، وبجوار هذه القبيلة الكبيرة نجد بعض القبائل الأخرى التى تشابهها فى التقاليد والعادات بشكل كبير، ولكنها لا تنتسب إليها وهذه القبائل هى :

الخوالده، اللحويين، الكواهله، الأحامدة، الضبابينة.

ينتسب الشكرية إلى سلالة سيدنا جعفر بن أبى طالب . وأهم مراكز هذه القبيلة ومناطق تجمعاتها :ـ القضارف وحلفا الجديدة ورفاعه ويوجدون بأعداد كبيرة فى الجزء الأوسط من سهل البطانة.

لقد ساعدت المشاريع الزراعية الكبيرة مثل القضارف وحلفا الجديدة على إستقرار عدد كبير منهم، حيث تركوا حياة الرعى والتجوال من مكان لآخر بحثا عن الكلأ والماء لهم ولماشيتهم، إلا أن البعض منهم ما زال يرفض حياة الإستقرار ويفضل الانطلاق فى سهل البطانة الواسع مع إبلهم وبقية مواشيهم.

البطاحين :ـ

ينتسب البطاحين إلى سيدنا العباس بن عبد المطلب، ويوجدون بكثرة فى الجزء الغربى من سهل البطانة، وخاصة فى منطقة (أبى دليق) شرق مدينة الخرطوم . وتشاركهم فى نفس المنطقة قبائل الدليقاب والمهلاب والحسانية والأحامده، وكذلك نجد قبيلة النافعاب والتى هى فرع من فروع قبيلة الجعليين وأهم فروع قبيلة البطاحين :ـ

العسافاب، العركشاب، العلاماب، الصاحباب، الديفلاب، الهديباب، الشرحاب، العوضاب، الفرجاب، العبادله، والبتوقاب.

الكمالاب والمرغماب :ـ

نجدهم فى الجزء الشمالى من سهل البطانة وعلى ضفاف نهر عطبرة وهناك تشابه ملموس فى عادات وتقاليد هاتين القبيلتين، وترابط وثيق بينهما منذ أزمان بعيدة، وهم ينتسبون الى قبيلة الكواهلة التى تنتسب بدورها إلى ذرية سيدنا الزبير بن العوام إلا أننا وجدنا بعض الإختلافات فى نسب قبيلة الكمالاب، فإن بعض شيوخها ينفون إنتسابهم إلى قبيلة الكواهله

ويقولون أنهم من ذرية سيدنا الحسين بن على ولهم وثائق أنساب تثبت صحـة قولهم، ولكن من الملاحظ أن هاتين القبيلتين فصيلتان متممتان لبعضها وتربطهما صلات رحم وثيقة.

تنقسم قبيلة الكمالاب إلى عدة بطون صغيرة، تكاد لترابطها لا تظهر سماتها منفردة وأهم هذه البطون هى: النقيباب، الشبوياب، الهدباب، الجهيماب والبسبراب. أما قبيلة المرغماب فتنقسم بدورها إلى بطون عدة هى:ـ

الناصحاب، الزماماب، العامراب، الناهياب، البيبشاب. وما زال أفراد هاتـين القبيلتين يعيشون حياة بداوة خالصة إلا أن بعض فروع قبيلة الكمالاب قد هاجرت وأستوطنت بعض المدن وبدأت تهضم ظواهر المدنية والتقدم، ولعل أوضح مثال لذلك فرع البسبراب والذى يقطن بعض أفراده الآن قرية «ود النور» على بعد خمسة أميال جنوب مدينة ود مدنى، فقد أكد لنا زعيم هذا الفرع موسى ود على حقيقة إنتمائهم إلى قبيلة الكمالاب، وقد هاجروا إلى مقرهم هذا منذ فترة طويلة يصعب علينا تحديدها. كما أن هناك رواية تقول أن قبيلة الشنابله القاطنة أرض الجزيرة ينتسب أفرادها إلى قبيلة الكمـالاب ايضا إذ تحكى هذه الرواية أن الجد الاكبر لقبيلة الشنابلة والمسمى «شنبول» قد هاجر منفردًا إلى أرض الجزيرة، وهناك أستـطاع أن يتـزوج إحـدى بنات السلاطين بعد ان دفع مهرها ثلاث «مرحات» من الأبل. قام بنهبها من قبيلته بأرض البطانة والتى طاردته ولحقت به، ولكن عندما أوضح لها أسباب ودوافع نهبه لهذه الأبل، تنازلت القبيلة عن حقها إكراما لأبنها .. هذه هى الرواية كما سمعناها من بعض شيوخ قبيلة الكمالاب فلا نجزم بصحتها أو بطلانها. كما أن هناك بعض العائلات التى أستوطنت المدن الكبيرة تنتسب أيضا لقبيلة الكمالاب نذكر منها على سبيل المثال عائلة الحجاز بامدرمان وعائلة ود جار النبى بجبل أولياء.

هناك قبائل أخرى أستوطنت أرض البطانة فأصبحت من قبائلها رغم أنها تاريخيا تنتمى إلى مناطق أخرى وإنها حديثة عهد بسهل البطانة إذا ما قورنت بالقبائل آنفة الذكر وهى: المناصير، الفادنية، والرشايده.

سمات حياتهم المعيشية:ـ

يلعب الرعى الدور الاساسى والهام فى حياة القبائل التى تعيش فى سهل البطانة ولعل اهم حيواناتهم التى يرعونها ويعتمدون عليها اعتمادا كبيرا هى الإبل وتليها البقر والضأن.

ولان كثيرا من مناطق سهل البطانة ما زالت تعتمد اعتمادا كليا على ظروف الطبيعة فان فصل الخريف يعتبر من احسن واهم فصول السنة بالنسبة لهذه القبائل، حيث يتوفر الماء والعشب لحيواناتهم ويزرعون بعض الوديان الخصبة.

فى بداية فصل الخريف تبدأ هذه القبائل «النشوق» من اماكن «الدمر» وهى الاماكن التى يقضون بها فصول الجفاف داخل السهل وبالقرب من موارد المياه من حفائر وآبار ولكل قبيلة اماكن (دمرها) ومصيفها التى تقضى بها فصول الجفاف وايضا لها اماكنها الخاصة لقضاء فصل الخريف والذى يبدأ غالبا فى اوائل شهر يوليو ويستمر حتى اواخر سبتمبر.

ويمكن لنا حصر «دمرهم» ومصيفهم فى مناطق معينة وهى ضفاف نهر عطبرة او آبار المياه واهم هذه الابار تقع فى منطقة ام شديده، فى الجزء الشمالى من سهل البطانة وآبار الصباغ والهشيب فى الجزء الاوسط، وابى دليق بالجزء الغربى من هذا السهل . وكذلك آبار ام حطب فى الجانب الشمالى الغربى، بالاضافة الى آبار اخرى عديدة ومتفرقة بعضها قديم وبعضها حفر حديثا.

يعتبر فصل الخريف من اشق فصول السنة، بالنسبة للرجل حيث يقوم بزراعة الذرة فى الوديان وتقوم النساء والاطفال بالاعمال المنزلية، وليس للنساء كثير من الاعمال الانتاجية فى فصل الخريف وانما يعملن فى استخراج الزبدة من اللبن بوسائل بدائية غير متطورة ويشرفن على الحيوانات فى بعض الأحيان.

واهم الوديان الزراعية فى أرض البطانة :- القيقى، والعطشان، والرويان وهى من أرض الشكرية والباساى والعشير وأم حويه وهسليت وتلك من أراضى الكمالاب والمرغماب، بالإضافة إلى وادى الهواد الكبير والذى تشترك فى زراعته قبائل كثيرة ومتعددة من بطاحين ودليقاب وكميلاب وجعليين، وتحصد من هذه الوديان محصولات وفيرة فى السنوات التى تكون فيها الامطار غزيرة ومما تجدر الاشارة اليه ان الزراعة كانت وما زالت بدائية للدرجة القصوى، ولا تستعمل فيها آلات ميكانيكية وانما يستعملون «السلوكة» للزراعة و (الملود) لنظافتها من الحشائش الضارة والمنجل لحصادها.

بعد نهاية فصل الخريف تعود هذه القبائل الى اماكن «دمرها» السابقة حيث شهور الجفاف بها . وتنحصر نشاطاتهم فى اعمال بسيطة لا تتعدى بذل الجهد فى توفير الماء للحيوان، والانسان والتسويق لحيواناتهم فى

الاسواق القريبة منهم مثل الدامر والقضارف وتمبول ورفاعة وحلفا الجديدة وعندما يبيعون الابل والضأن فانهم يشترون بجزء من اثمانها ما يحتاجون اليه من مأكل وملبس. وتعتبر «عصيدة» الذرة من اهم المواد الغذائية عندهم بالإضافة الى اللبن والذى يكون متوفرا فى فصل الخريف ويستفيدون من أصواف حيواناتهم وخاصة الجمال والماعز فى صناعة خيامهم وأغطيتهم. اما ملابسهم المميزة فهى الثوب والعراقى والسروال الطويل والعمامة بدون طاقية غالبا.

اوقات فراغهم:ـ

يجد الدارس تشابها كبيراً بين حياة سكان سهل البطانة وحياة أجدادهم العرب فى الجزيرة العربية قديما، فهم مثلا يجلسون فى حلقات يتبادلون الشعر بأنواعه المختلفة والشاعر بينهم فى مكانة سامية إذ يجلونه ويرفعون من مكانته ولكل قبيلة شعراؤها الذين تعتز بهم لأنهم يرفعون شأنها ويدافعون عنها بألسنة حداد فلا يستطيع أحد التعرض لها أو النيل منها.

اكثر الأشعار عندهم ما قيل فى الغزل ويندر أن يتغزل الشاعر البطانى فى فتاة معروفة النسب والقبيلة لأن تقاليدهم تمنع ذلك منعاً باتاً. فهم يعتبرون التغزل فى بنات القبائل إشانة لسمعتهن وسمعة قبائلهن، آلا أنهم يجدون مجالاً رحباً للتغزل فى الجوارى، فهن كثيرات تكتظ بهن أرض البطانة، ولقد لعبن دوراً كبيراً فى إلهام الشعراء أعذب أشعار الغزل.

يجلس الشبان فى منزل الجارية ينظمون الشعر فى محاسنها ويتغزلون فيها ويصفون جمالها وصفاتها المحبوبة فى حين تقوم الجارية بعمل «الجبنة» للجالسين، وفى مجال «الجبنة» هذه، تستطيع الفتاة الجميلة أن تكسب الكثير إذ تنهال عليها الأوراق النقدية من جميع الجالسين. فإذا قام أحدهم بمنح الجارية مبلغاً من المال فلابد لكل من فى مجلسها أن يدفع اكثر منه أو على الأقل مثله وقد تظفر بكثير من المال إذا أجتمع فى مجلسها غريمان يكتوى كلاهما بحبها أو يكونان من قبيلتين مختلفتين بينهما عداوة فكل واحد منهما يريد أن يحوز على اعجابها، أو يريد أن يحرج الآخر فيدفع أكبر قدر من المال، فيضطر الآخر لمجاراته فيدفع أكثر منه، وهكذا حتى يفلس أحدهما فينسحب من مجلسها بلا عودة.

وإن كانت «الجبنة» وباء على البطانيين حيث ينفقون أموالاً طائلة فى مجلسها فقد دخلت قبل وقت قصير الخمور التى بدأت تجلبها الجوارى من المدن القريبة ويبعنها فى كميات كبيرة لرفاق «الجبنة» كما أن أولئك

الجوارى قد أستطعن بما وهبن من جمال وظرف جلب الكثير من شباب المدن المحيطة بالسهل إلى منازلهن والتى أصبحت أنديتهم الخاصة. فليس غريباً ان نجد عربة تقف يوما أو يومين أمام منزل إحدى الجوارى وصاحبها فى قمة نشوته وطربه داخل منزل الجارية يحتسى كاسات الخمر ويرشف «فناجين الجبنة» ولكن عادة شرب الخمر قد انحسرت كثيراً بعد صدور القوانين المحرمة للخمر فأصبحت الجبنة سيدة الموقف.

علاقات القبائل ببعضها البعض:ـ

العلاقات التى تربط قبائل سهل البطانة ببعضها جيدة ومتينة لأن الصلات التى تربط بينهم صلات وطيدة وقوية على مر التاريخ، فهم يشاركون بعضهم فى كل المناسبات الاجتماعية والأُسرية ويحكم بينهم على الدوام (السالف) أو العرف الأهلى وقل ان نجد خلافات وعداوات بينهم وإذا حدث بينهم شىء من ذلك نجد زعماء القبائل الأخرى يقومون بإصلاح ذات البين حتى يعود الصفاء والود.

أهم عاداتهم وتقاليدهم:ـ

الكرم:ـ

الكرم من الصفات البارزة عند أهل البطانة وهى صفة موروثة جاءوا بها من منبعهم الأول (الجزيرة العربية، وتمسكوا بها ولم يتخلوا عنها أبداً، فهم يحترمون الضيف ويقدرونه ولا يملون وجوده مهما طالت إقامته بينهم، وان كانت قبائل البطانة عامة تتفانى فى إكرام الضيف وتقديره فان هناك تفاوتاً فى كرمها.

فنجد مثلا أن قبيلة البطاحين أكرم قبائل سهل البطانة جمعاء وقل أن تنافسها قبيلة فى مستوى كرمها، هذه حقيقة لابد من ذكرها فى سياق حديثنا عن عادات وتقاليد أهل البطانة. فالبطحانى يكون أكثر سرورا وفرحا بلقاء الضيف ويتفاءل بمقدمه خيراً ويزداد قرباً والتصاقاً به مهما طالت اقامته وامتدت ايامه.

ولا تتوانى القبائل الأخرى فى إكرام الضيف كما ذكرنا وقد عرفت أرض البطانة أفراداً من القبائل المختلفة، خلد الكرم اسماءهم بحروف من نور عبر عشرات السنين، مثل الزعيم الدينى الفذ الشيخ الفكى ابراهيم ود أب ناجمة الفادنى، الذى انشأ الكثير من الخلاوى للضيوف بمنطقة أُم شديدة ومنهم أيضاً محمود ود زائد الملقب بشحم «ألبل» من قبيلة الضباينة ومن الذين اشتهروا بالكرم الشيخ احمد حمد ابو سن والذى



قال فيه الشاعر البطانى مادحا :ـ

عَرْضُـو وُفَـرْضُـو لَامِـنْ أفـنـى مَا فَكَّـالِنْ
مَوَاعِـينْ الكَـرَمْ تَمْتَـمْ عبَـارِنْ وُكَـالِنْ
خَلْوَاتُـو المِـتِـلْ صُوتْ الجَـرادْ عَكَّـالِنْ
بَكَـفِـيـهِـنْ صَوَانِـيًّـا بُدَاعْ اشْكَـالِنْ

والكرم صفة طبيعية توارثوها أبا عن جد فهم لا يفخرون بما يقدمونه لضيوفهم من طعام ومأكل، بل أن فى ذلك كل العار لأنهم يعتبرون ذلك واجباً عليهم لابد من القيام به وقد صدق شاعرهم عبد الله محمد عمر البنا حين قال فى قصيدته المشهورة «البادية» :ـ

رفـاق الضـيـف أنـى حل هبـوا
لهـم للضـيـف ضـم والتـزام
اذا نحـروا العـشـار مودعـات
فلا من بذاك ولا كلام

وبالتالى فجميعهم يكرهون البخيل ولا يقيمون له وزناً فى مجتمعاتهم مهما كثر ماله وتصل كراهيتهم للبخيل الدرجة التى يرفض فيها أفقر الناس منهم تزويج ابنته من أغنى الأغنياء منهم إذا عرف أنه بخيل لا يكرم الضيف.

الشجاعة :ـ

وكما اتصفوا بالكرم اتصفوا أيضا بالشجاعة، فهم يعتبرون الجبن عاراً لا يمحوه الدهر فالجبان لا مكانة اجتماعية له بينهم، فإذا حدث أن هرب أحدهم من معركة أمام أعدائه فانه يصبح منبوذاً فى أوساطهم، فلا ترضى قبيلة من القبائل أن تزوجه من بناتها، ولا حتى أولاده من بعده، فتضطره هذه المعاملة القاسية على الرحيل إلى مكان آخر بعيداً عن ديارهم.

فهم ينشئون أطفالهم على حياة الشجاعة والفروسية وذلك بأن يدربوهم على الرعى، ويتركوهم فى الفيافى وهم فى سن العاشرة تقريباً بعيدين عن أمهاتهم وأهلهم، فيعتادون على حياة الانفراد والأعتماد على النفس ومرافقة السيف والسكين والعصا فإنها الزم لوازمهم. وقل أن نجد رجلا منهم خالى الوفاض من هذه الأدوات باعتبارها من متممات الرجولة والفروسية.

وكذك نجد لهم صفات أخرى لا تقل فضيلة عن صفتى الكرم

والشجاعة، فهم يهتمون بإغاثة الملهوف والضعيف، والدفاع عن الجار والغريب، ونجدهم عفيفي النفوس، فالبطانى كريم النفس أبى يفضل الموت على الحياة على الذل والهوان ويحافظ أشد المحافظة على أعراض الآخرين بالقدر الذى يرجو ان يصان به عرضه، كما أنهم يحترمون ويجلون الفقهاء والصالحين ويزورون قبورهم للتبرك بهم، ويعتقدون إعتقاداً شديداً فى وجود البركة فى أبنائهم وذراريهم من بعدهم فيحفونهم بنفس القدر من التجلة والأحترام.

عادات الزواج :ـ

ليست هناك حرية بالمعنى المفهوم كالذى نجده فى المدن، حيث يتمتع الشاب بحق إختيار شريكة حياته، وتتمتع هى بحق الرفض أو القبول. ولكن نجد الفتاة البطانية رهينة بيتها دائما وأبدا، وهى طوع أمر والدها فى كل شىء، يختار لها من الشبان زوجاً، ويرفض الذى يرفضه، فهو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة .. وغالباً ما تكون الشابة من نصيب ابن العم، اذا كان لها ابن عم .. وكذلك الحال مع الشاب فوالده هو الذى يختار له الزوجة الصالحة، وهو الذى يقوم بدفع تكاليف الزواج، والشاب يقبل ذلك فى طاعة، ولعل مرجع هذا هو عدم إستقلال الشاب إقتصاديا عن والده والزواج يتم عند أكثر قبائل البطانة فى سن مبكرة جداً

اليوم الأول للزواج والذى يعرف عندهم بيوم البوش:ـ

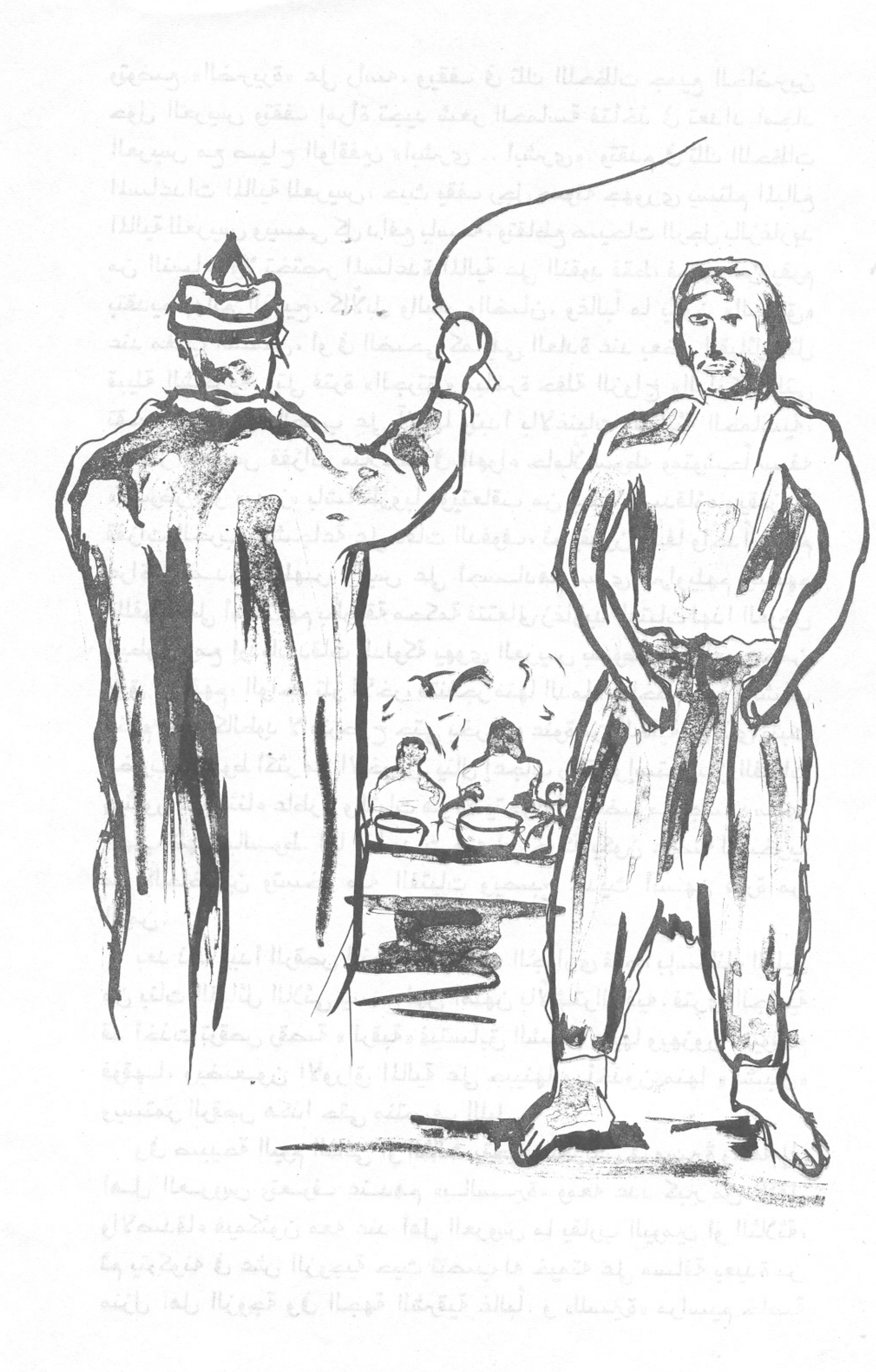
بعد أن يتم شراء ضروريات الزواج من ملبس ومأكل، يبدأ العريس فى توجيه الدعوة للأهل والأصدقاء والجيران، وذلك قبل الزواج بثلاثة أيام على الأقل، ولا تكون هذه الدعوة عن طريق الكروت المكتوبة، بل يركب العريس على ظهر جمل جيد، ومعه مجموعة من أصدقائه على ظهور جمالهم يميز العريس من بينهم بملابسه الجديدة الناصعة البياض ويطوفون على الأشخاص الذين يريدون توجيه الدعوة لهم فى منازلهم فرداً فرداً.

ثم يرجع العريس إلى منزله ويكون أهله فى حالة استعداد كامل، لتحضير الوليمة لهؤلاء الضيوف فى اليوم المحدد. حيث تنحر الأبل أو تذبح البقر وتبدأ الوليمة، وبعد إنتهائها تبدأ فترة «الجرتق»، وتبدأ مراسيمه بوضع «عنقريب» أمام منزل العريس، ويفرش ببرش أحمر مزخرف ليجلس عليه العريس وبعض من أصدقائه، لكى تربط له الحريرة

وتوضع «الضريرة» على رأسه، ويقف فى تلك اللحظات جميع الحاضرين حول العريس وتقف إمرأة تجيد شعر الحماسة فتأخذ فى تعداد أمجاد العريس مع صياح الواقفين «أبشرى .. أبشرى». وتقدم فى تلك اللحظات المساعدات المالية للعريس، حيث يقف رجل صوته جهورى يستلم المبالغ المالية للعريس ويسمى كل دافع باسمه، وتقاطع صيحات الرجل بالزغاريد من النساء. ولا تختصر المساعدة المالية على النقود فقط، فمنهم من يقوم بتقديم بهائم الذبيح، كالأبل والبقر والضأن، وغالباً ما يكون «الجرتق» عند مغيب الشمس، أو فى الضحى كما هى العادة عند بعض القبائل مثل قبيلة الشكرية. وتلى فترة «الجرتق» مباشرة حفلة الزواج «الدلوكة» التى تقوم الجوارى بالضرب على آلاتها وتبدأ بالأغنيات البطيئة الحماسية، فيقفز العريس قفزات متلاحقة فى الهواء حاملاً سوطه ومتوشحاً سيفه «يعرض» و «يهز» باشا طروباً. ويتعاقب من بعده أصدقاؤه ويقفزون قفزات الحرب والشجاعة على دقات الدفوف، ثم يقفون صفاً واحداً، كلهم عراة الصدر والظهر، وليس على أجسادهم سوى سراويلهم وثيابهم الملفوفة على أصلابهم بطريقة محكمة فتتعالى زغاريد الفتيات لهذا العرض البطولى ومع إزدياد دقات الدلوكة يهوى العريس بسوطه على ظهورهم من فوق أكتافهم، الواحد تلو الآخر، فتنفجر منها الدماء ساخنة قانية والشاب منهم ثابت كالطود لا يتزحزح حتى يخرجوه عنوة من الحلبة، والذى يثبت للضرب بالسوط أكثر من الآخرين. ينال إعجاب رفاقه وإستحسان الفتيات ويثنون عليه ثناء عاطراً. والثبات هو ألا يتحرك أى عضو من جسده ساعة الهاب ظهره بالسوط. أما أذا بدرت منه أي حركة يكون عرضة للسخرية من الحاضرين وتسخر منه الفتيات ويصبح حديث أنسهن فترة من الزمن.

بعد ذلك يبدأ الرقص الذى تشترك فيه الجوارى فقط، بإستثناء القليل من بنات القبائل اللائى يسمح لهن أهلهن بالأشتراك فيه. فترى الجارية قد أخذت ترقص رقصة «الرقبة» فيتسابق الشبان عليها ويهزون سيوفهم فوقها، ويضعون الأوراق المالية على جبينها ويأخذون منها «الشبال» ويستمر الرقص هكذا حتى منتصف الليل.

وفى صبيحة اليوم الثانى أو الثالث يتحرك العريس فى مسيرة رائعة إلى أهل العروس وتعرف عندهم «بالسيرة» ومعه عدد كبير من الأهل والأصدقاء فيمكثون معه عند أهل العروس ما يقارب اليومين أو الثلاثة، ثم يتركونه فى عش الزوجية حيث تنصب له خيمته على مسافة بعيدة من منزل أهل الزوجة وفى الجهة الشرقية غالباً. و «للسيرة» مراسيم خاصة



وتوضع «الضريرة» على رأسه، ويقف فى تلك اللحظات جميع الحاضرين حول العريس وتقف إمرأة تجيد شعر الحماسة فتأخذ فى تعداد أمجاد العريس مع صياح الواقفين «أبشرى .. أبشرى». وتقدم فى تلك اللحظات المساعدات المالية للعريس، حيث يقف رجل صوته جهورى يستلم المبالغ المالية للعريس ويسمى كل دافع باسمه، وتقاطع صيحات الرجل بالزغاريد من النساء. ولا تختصر المساعدة المالية على النقود فقط، فمنهم من يقوم بتقديم بهائم الذبيح، كالأبل والبقر والضأن، وغالباً ما يكون «الجرتق» عند مغيب الشمس، أو فى الضحى كما هى العادة عند بعض القبائل مثل قبيلة الشكرية. وتلى فترة «الجرتق» مباشرة حفلة الزواج «الدلوكة» التى تقـوم الجوارى بالضرب على آلاتها وتبدأ بالأغنيات البطيئة الحماسية، فيقفـز العريس قفزات متلاحقة فى الهواء حاملاً سوطه ومتوشحاً سيفه «يعـرض» و «يهـز» باشا طروباً. ويتعاقب من بعده أصدقاؤه ويقفزون قفزات الحرب والشجاعة على دقات الدفوف، ثم يقفون صفاً واحداً، كلهم عراة الصـدر والظهـر، وليس على أجسـادهم سوى سراويلهم وثيابهم الملفوفة على أصلابهم بطريقة محكمة فتتعالى زغاريد الفتيات لهذا العرض البطولى ومع إزدياد دقات الدلوكة يهوى العريس بسوطه على ظهورهم من فوق أكتافهم، الواحد تلو الآخر، فتنفجر منها الدماء ساخنة قانية والشاب منهم ثابت كالطود لا يتزحزح حتى يخرجوه عنوة من الحلبة، والذى يثبت للضرب بالسوط أكثر من الآخرين. ينال إعجاب رفاقه وإستحسان الفتيات ويثنون عليه ثناء عاطراً. والثبات هو ألا يتحرك أى عضو من جسده ساعة الهاب ظهره بالسوط. أما أذا بدرت منه أي حركة يكون عرضة للسخرية من الحاضرين وتسخر منه الفتيات ويصبح حديث أنسهن فترة من الزمن.

بعد ذلك يبدأ الرقص الذى تشترك فيه الجوارى فقط، بإستثناء القليل من بنات القبائل اللائى يسمح لهن أهلهن بالأشتراك فيه. فترى الجارية قد أخذت ترقص رقصة «الرقبة» فيتسابق الشبان عليها ويهزون سيوفهم فوقهـا، ويضعـون الأوراق المالية على جبينها ويأخذون منها «الشبال» ويستمر الرقص هكذا حتى منتصف الليل.

وفى صبيحة اليوم الثانى أو الثالث يتحرك العريس فى مسيرة رائعة إلى أهـل العـروس وتعـرف عنـدهم «بـالسـيرة» ومعه عدد كبير من الأهل والأصدقاء فيمكثون معه عند أهل العروس ما يقارب اليومين أو الثلاثة، ثم يتركونه فى عش الزوجية حيث تنصب له خيمته على مسافة بعيدة من منزل أهل الزوجة وفى الجهة الشرقية غالباً. و «للسيرة» مراسيم خاصة

تختلف من قبيلة إلى أخرى يصعب علينا التحدث عنها.

ويشاهد العريس فى أيامه الأولى لا يفارق سيفه أبداً، وذلك لأعتقادهم انه يحميه من الأرواح الشريرة. ومن العادات المألوفة عند أغلب قبائل البطانة إن المرأة لا تنادى زوجها بإسمه وانما تناديه بأبى فلان إن كان له ولد وبالاشارة إن لم يكن له ولد كما ان الزوج يتحاشى كثيراً أن يلتقى بأم زوجته «نسيبته». فهم يرون أن النسيبة لابد أن تحترم وتقدر، فهم يعزونها إعزازاً شديداً فإذا طلب احدهم شيئاً من الآخر ورفض قال له «نسيبتك، نسيبتك»، الا ان تفعل كذا، وكذا فيستجيب له إكراماً لها مهما كان الأمر، وهذه الظاهرة نجدها عند معظم قبائل السودان.

المأتم:

عندما يموت عزيز لهم نجدهم يبكون عليه بحرقة وألم. فتخرج النساء حاسرات الرءوس ويبدأن فى النواح والصراخ الذى يدل على الأسى والحزن، وينثرن التراب والرماد على رءوسهن. والجدير بالذكر أن الرجل عند معظم قبائلهم لا يبكى لموت الأنثى أما إذا كان الميت رجلاً عظيماً فيبكى عليه الرجال بشدة وحرارة، فيشاهد الرجل منهم وقد جاء إلى مكان العزاء يتجه أولاً إلى مكان الرجال ويرفع يديه بالدعاء ويقرأ الفاتحة على روح الفقيد. ثم يتجه إلى تجمع النساء إذا كان من أقرباء أو أصدقاء الميت بعد ان يغطى رأسه بثوبه ثم يبدأ فى البكاء بصوت مرتفع فيشاركنه البكاء كل الموجودات من النساء.

وتقوم قبيلة الشكرية بضرب «النقارة» وتستل السيوف من أغمادها، ويقفز الرجال فى الهواء مع ترديد كلمات الأسى والحزن، وتجرى الجمال حول منـزل الميت، خاصة إذا كان الرجل من زعماء القبيلة، ويرددون عبارات عجيبة «اريتك الليله كان فى ضرا درقات» ويقصدون بذلك أنه لو كان اليوم عند عدو يحبسه وراء السلاح لما تركوه له ولأخذوه منه عنوة واقتداراً، ويرددون عبارات أخرى مثل «وكت نكير جاك سيفك ماحداك؟ أى عنـدمـا جاءك نكـير ألم يكن سيفـك بجوارك لتحمى نفسك؟ وذلك لأعتقادهم أن نكير هو الذى يقبض الأرواح. ويقومون أيضاً بقطع الشجر الأخضر، وهم يرددون هذه العبارة «ات مخضر وفلان متحدر» اى كيف جاز للشجر أن يكون مخضراً وفلان ميتاً وقد تلاشت هذه العادات تماماً فى هذا الوقت.

مشاكلهم:

١: لعل من أهم مشاك أهل البطانة والتى يعانون منها منذ زمن بعيد

هى: مشكلة المحل فأمطار هذا السهل الممتد غير منتظمة حسب ظروفه الجغرافية، فالأمطار تأتى عاماً وتنعدم أحياناً. الشىء الذى أدى الى موت الكثير من مواشيهم وقلل من ثرواتهم الحيوانية هذا بالاضافة إلى الأمراض المتنوعة والتى تصيب هذه المواشى سنوياً.

٢: لقد كان أصحاب المواشى فى السنوات السابقة يجدون بسهولة رعاة بأجور زهيدة ولكن بعد هجرة الكثير من هؤلاء الرعاة إلى المدن الزراعية القريبة مثل القضارف، وحلفا الجديدة، أو المدن الصناعية مثل عطبرة والخرطوم فقد قلت الأيدى البشرية التى تشرف على تربية هذه المواشى فهولاء الشبان قد وجدوا حياة سهلة وعائداً أكبر مما جدا بزملائهم من بعدهم أن يحذوا حذوهم بعد أن ظهرت على اولئك الشبان سمات المدنية والتحضر فى الملبس والسلوك.

٣: مشكلة مياه الشرب من أهم المشاكل التى يعانى منها سكان سهل البطانة فهم يعتمدون الى حد كبير على الآبار السطحية القليلة المياه وعلى منسوب مياه نهر عطبرة الذى أصبح يجف فى معظم شهور السنة لانشاء خزان خشم القربة عليه.

٤: يتفشى الجهل بين هذه القبائل إلى درجة يرثى لها، وذلك لقلة المدارس وعدم التوعية التى تساعدهم وتقنعهم بإرسال أبنائهم إلى دور التعليم فما زال كثير من الاطفال لا يذهبون إلى المدارس لأسباب عدة، أهمها إن اهلهم يحتاجون إليهم تقريباً فى سن العاشرة أو ربما قبل تلك السن فى خدمة المواشى والحيوان وكذلك لعدم توطين هذه القبائل واستقرارها فى أماكن معينة، الشىء الذى أدى إلى عدم تقديم الخدمات الضرورية لهم.

٥: الصحة: لا تقل أهمية الصحة عن التعليم، فبالرغم من وجود «شفخانات» عديدة الا أنهم يلاقون متاعب كثيرة فى نقل مرضاهم إلى عطبرة، الخرطوم، رفاعه، القضارف وحلفا الجديدة.

لم نقصد بهذا المدخل، الحديث بإسهاب وتفصيل عن التقاليد والعادات والجوانب التاريخية لحياة هذه القبائل وإنما قصدنا أان نعطى القارىء خلفية لهذه الدراسة، ربما تساعده فى فهم وإستيعاب ما ورد بها من موضوعات.

وصف الطبيعة

الفتنة الساحرة التى تمتاز بها أرض البطانة فى الخريف أخذت دائما بمجامع قلوب الشعراء، ففى أرض البطانة الخضراء المتسعة قال الشعراء الكثير وأبدعوا فى الوصف ولعل أكثرهم شعراً الصادق أب آمنه من قبيلة الشكريه وطه ود الشلهمه من قبيلة اللحويين وعثمان ودجماع ومحمد ود نائل من قبيلة البطاحين.

يقول الشاعر يصف ارض البطانة وقد هطلت عليها الأمطار واكتست بسندسها الرائع:

سمْحَتْ وُمنْ شَنَاتْ الصِّيفَه لُونَه انْدَسَّ
وُجَبَّالْك لبسْ من الْخَضارْ وَاتْكَسَّى
يَا الْمَرْدَا التَّلينى مَعَ الْجِمالْ فى الرسَّ
فُوقَكْ زَرْقَنْ الرَّزمِى السِّحَابُو اتْمَسَّى

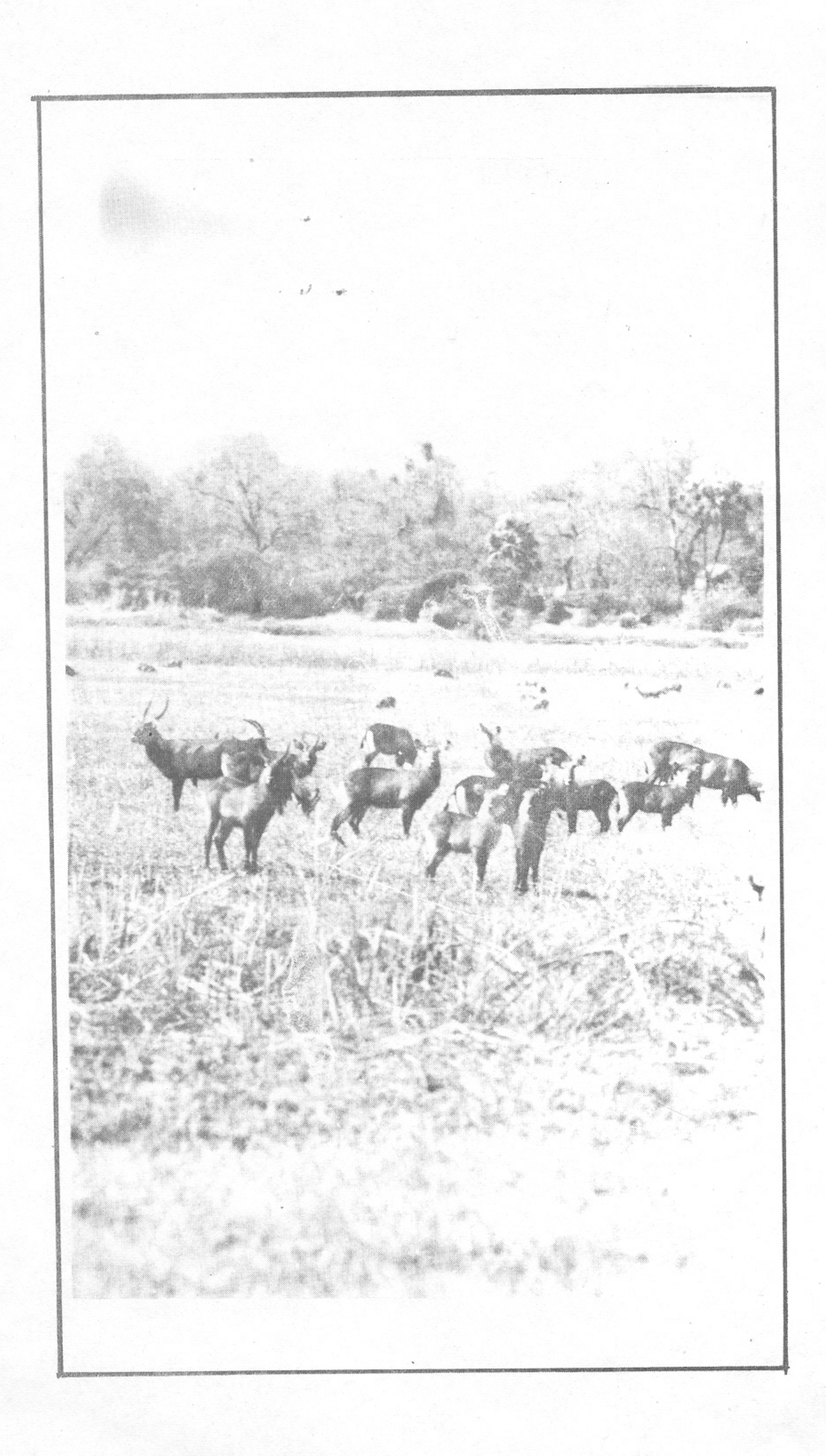
شرح المفردات:

١) شنات: قبح ٢) المردا: الارض المستوية الواسعة ٣) الرس: سير الجمال ببطء.

يرسم الشاعر لوحة رائعة لونتها الكلمات وزادتها تعبيراته البديعة الواناً جذابة. فها هى الأرض قد تجملت واختفى لون الجفاف الذى خلفه الصيف القاحل ولبست الجبال ثوباً اخضراً بديعاً مختلف الألوان وإن كانت تغلب عليه الخضرة. ويصف أرض البطانة بأنها واسعة الأرجاء، جيدة التربة تلين تحت أقدام الجمال عندما تسير فوقها دلالة على انها ليست أرضاً حجرية بل أرض سوداء خصبة ومروية بماء المطر الذى كان كثيراً جداً ويسترسل الشاعر المبدع فى وصف البطانة فيقول:

يَاالْمَرْدَا الرّدَمْ فيخَكْ سحابْ الطَّرْفَه
جدِّيعْ النَّميم بَجِى فُوقْ عَفاكْ غيرْ كُلْفه
مَرِّيه وُفيكْ بطُبْقَ الْعُمَارْ الْخَلْفَه
مَطْرُوحَه وُجِنَاحِكْ كُوعُو وَطَّنْ حَلْفَة





يقول الشاعر أن الحروب فى أرض البطانة شىء طبيعى لطمع باقى القبائل فى إمتلاك أجزاء منها، ولكن أهلها يحاربون بضراوة شديدة تجعل الصقور تمشى فى ركابهم لأنهم دائما يتركون لها جثث الأعداء فتجد فيها طعاماً شهياً وبالرغم من كل شىء فإن أرض البطانة كريمة ومعطاءة لا يجوع سكانها لأن الله سبحانه وتعالى قد من عليها بالأمطار الكثيرة وإذا كانت الأرض الأخرى على النيل تفخر بنخيلها الباسق، فأرض البطانة يحق لها أن تفخر أيضا بنبات السحا والمفيريط والصفارى لأنها نباتات جميلة المنظر غنية بالغذاء تعيش عليها الأبل.

لقد أثرت هجرة الحلفاويين إلى سهل البطانة فى نفوس أهل البطانة فقد كانت مراعيهم وديارهم، ولكن بعد أن أستوطنها غيرهم تألموا ألماً شديداً ونظموا أشعارا كثيرة فى هذا الصدد.

هذا هو شاعرهم الصادق آب آمنة يحن إلى أيام ماضية كانت فيها هذه البقعة من سهل البطانة مراعى لمواشيهم قبل إنشاء مشروع خشم القربة.

يَا حليلك قبيل وَكتين نَدَاك بى زيقُو
وَزَنَ الدِّيش نَزَل كَبعَدَ اللَّبَالى فَرَيقُو
ضَرَّاك ديش حَلفَا الله يَعَيقُو
سَوَالك فعَالَن نفسى مَابطِّيقُو

شرح المفردات :

(١) الزيق : شريط من الخضرة.
(٢) وزن الديش : اسم رجل غنى يملك الكثير من الابل.
(٣) اللبالى : يقصد الأبل.
(٤) يعيقو : يضره.
(٥) سوالك : فعل بك.

يتألم الشاعر وهو يتذكر منطقة خشم القربة قبل قيام المشروع الزراعى فقد كانت مرتعا خصبا لحيواناتهم عندما ينزل بها وزن الديش ذلك الرجل الغنى الذى يملك أعداداً كبيرة من الجمال وتحيط الأبل منازله من كل الجهات. ويسخط على المهاجرين إذ أنهم مزقوا أحشاء تلك الأرض بالمحاريث والجرارات، وأخذوا يزرعونها وهو يريدها مراعى ليس غير. ولعل إرتباطه النفسى بتلك الفيافى هو الذى جعله يرفض كل تغيير ويقف بصلابة أمام أى تطور وتقدم.

شرح المفردات:

١) الفيـخ: الأرض المنخفضة اللينة ٢) النميم: الغناء ٣) المريه: هى الأرض الخصبة التى تسمن فيها الابل.
٤) الطرفة: موسم من مواسم المطر. ٥) العمار: جمع عمره وهو إناء يستخدمه الرعاة فى حلب الابل.
٦) الخلفه: الناقه التى مر على ولادتها عام كامل

يخاطب شاعرنا أرض البطانة فيقول لها أن السحب والامطار قد روت أراضيـك الواسعـة فى موسم الطرفـة. وفى موسم الطرفة بالذات تكون الأمطار غزيرة جداً ويطلقون عليها اسم «الطرفه البكايه» لكثرة أمطارها وهـديـر رعدها. ويقول الشاعر وهو يخاطب أرض البطانة الخضراء ان الشعر والقوافى تأتى من تلقاء نفسها وبلا تكلف لأن جمال أرض البطانة ومناظرها الخلابة توحى للشعراء بأجمل النظم وأحلى الكلام ويرجع ذلك أيضاً لحبهم لهذه الأرض، ولكثرة خيرها فإن الناقة فيها كثيرة اللبن وقد تمـلأ إنـاء الحلب مرتـين، كمـا إنهـا واسعة جداً وقطعة صغيرة منها أستـطاعت أن تستوعب كل مواطنى حلفا الذين هاجروا منها بعد قيام السد العالى وأستوطنوا حلفا الجديدة والتى هى جزء لا يتجزأ من أرض البطانة.

ويعتز الشعراء فى البطانة بأراضيهم ويحبونها حباً كثيراً ولا يفرطون فى شبر منها لعدو، هذا هو الشاعر ود نائل يقول:

المّـوتْ يَا أمْ هَبَـجْ صَقَّـارُوا تَابـعْ خَيـلِكْ
الَّا كَريـمَـه مَا بجُـوعيـهُ دَخَـيـلَكْ
رَبَّ الْعَـزَّه بى وَابـلَ المْـطَرْ سَاخَـيـلكْ
السِّـحَـا والمِـفـيرِيـطْ وَ الصَّـفَـارِى نَخِـيلِكْ

شرح المفردات:

(١) أم هبج: الأرض المفككة التربة المنخفضة التى تقع بين مرتفعين
(٢) دخيلك: الذى يسكن بداخل شعابك
(٣) ساخيلك: عطف عليها وجاد بالأمطار الغزيرة
(٤) المفيريط والصفارى: نوعان من أنواع النباتات الكثيرة والتى تنبت فى سهل البطانة.

لقد أمتلك الصادق «حواشه» فى ذلك المشروع وأخذ يزرعها ولكنه شاهد مرة البروق تلمع فى أجزاء سهل البطانة الأخرى بعيداً عن المشروع فعاوده الحنين وملأ قلبه الشوق إلى حياة البادية والرعى، فيقول متأملاً يصف حاله وحال أرض البطانة المزروعة وتلك التى مازالت مرعى:

اتخلفلها البطحانى والعبادى
ونفضنو المتل جبب أم صريمه يدادى
نحن ترانا للشابوره ديمه نحادى
عنز الشاى مراقبه من غرامة القاضى

شرح المفردات :

(١) جبب أم صريمه : هى الحبرة السوداء التى تلبسها نساء الرشايدة، يشبه بها السحاب لسواد لونه ولونها.
(٢) الشابوره : الحواشة الزراعية.
(٣) يدادى : يرعد.

يقول الصادق أن البرقين البطحانى والعبادى بدءا يلمعان فى وقت واحد على أرض البطانة التى لم يصلها المشروع وقد ساقت تلك البروق السحب السوداء المليئة بالماء. ويصف حاله بأنه أصبح عبداً لأرضه الزراعية وولى زمن الحرية والأنطلاقة فى وديان البطانة الواسعة ونراه يتعرض بالنقد الشديد لحالة الضبط والربط التى شملت المنطقة فمنع الرعى فيها، والحيوانات إذا تركت طليقة فانها بلا شك تخرب الزرع ولذلك فان وجودها طليقة يعرض أصحابها للمحاكمة والغرامة وهى صورة مؤلمة بحق اذا عرفنا ان الأغنام وخلافها كانت ترعى طليقة بلا قيود أو حدود.

وقد أبدع الصادق كثيراً فى وصف الأمطار والبروق

الضحوى الرزم جاب الدليج من غادى
فايضاً غرق العقده ومطيمر الهادى
أسقى البحرى من ليلو وبنات الوادى
يمشى كسيده لاعند العلو المسادى

شرح المفردات :

(١) الضحوى : الأمطار التى تنزل وقت الضحى والضهرى وقت الظهر.
(٢) رزم : أرعد.
(٣) الدليج : اسم وادى زراعى.

عامة رحمة وخير ونماء. وسنوات القحط والجفاف خطيرة على أهل البطانة لأنهم يعتمدون اعتماداً كلياً على الأمطار. ولكى نعطى صورة حقيقية لأهتمام أهل البطانة بالمطر يحسن بنا أن نسير قليلاً مع هذا الشاعر الفذ يصور لنا حالتهم وحالة أرضهم صيفا أيام الجفاف ثم بعد هطول الأمطار:

يقول هذا الشاعر:

الصِّيفْ دَخَلْ لِيلُو القَصِيرْ وَالاَنَا
بِى مَدَّ النِّهَارْ طُولْ الْهَجِيرْ قَلاَّنَا
فَكَّ سَمُومُو وُحَتَّ الزَّهْرَه من أغْصَانَا
وُفِى آخْرُو الهَبَايِبْ خَسَّرَتْ مَرْعَانَا

شرح المفردات:

(١) والانا: استمر معنا.
(٢) قلانا: أحرقنا.
(٣) خسرت: أتلفت.

يقول الشاعر لقد بدأ الصيف بليله القصير ونهاره الطويل الذى أحرق لهيبه أجسادنا، وسموم هذا الصيف حارة لدرجة أنها جعلت الزهور تذبل وتتساقط، ثم بدأت الهبوب محملة بالتراب تهب على أرضنا فتدفن الحشائش التى كانت تعتمد عليها حيواناتنا فى معيشتها.

انها صورة قاتمة لأيام قحط رسمها الشاعر فى براعة فائقة. فلكيما يصور لنا شعورهم وضيقهم بالصيف أكد حقيقة ان نهاره طويل وحار ولكيما يؤكد الخراب الذى لحقهم من جراء ذلك قال الزهر «تساقط» «والهبوب» دفنت كل نباتات مراعيهم وهم يعتمدون عليها لرعى حيواناتهم رويدا رويدا تبدأ بشائر الخريف.

اللِّيلَه الرُّشَاشْ وَدَّ الخَرِيفْ طَلاَّنَا
بى أُمْ بَشَّارْ نَسَجْ زِينْ مَاقدرْ بَلاَّنَا
رَجَعْ لِى أَبُوه قَالِيهُ الأرضْ عَطْشَانَا
النَّاسْ قَالُوا قُبَالْ الفَوَاتْ ألفَانَا

شرح المفردات :

(١) الرشاش : أوائل فصل الخريف.
(٢) أم بشار : يعنى بها السحب.
(٣) ألفانا : أدركنا وأنقذنا مما نحن فيه.

يقول الشاعر بعد أن انتهت أشهر الصيف القاحلة وسمومه المحرقة بدأ الرشاش الذى هو عادة يسبق الخريف يُطل عليهم. وبالرغم من ان أيام الرشاش بسحبها الكثيرة قد جادت بأمطار كثيرة ولكنها لم ترو الأرض رياً مقبولاً.

ويقول الشاعر فى بلاغة ظاهرة أن فصل الرشاش بعد أن فشل فى رى الأرض وهو «ابن الخريف» رجع لوالده الخريف وأخبره بأن الأرض مازالت عطشى وأن الناس يترجونه أن يأتيهم سريعاً قبل أن تلحق بهم أضرار كثيرة.

وتمر عدة أيام فيستجيب الخريف لنداء ولده «الرشاش».

بَعَد أيَّامْ قُرَابْ جَاتْ أُمْ رويقْ طَالَّانَا
عِيَنَ البَرق تَفَتِّحْ آن تَغَمِّضْ آنَا
تَكَالَمْ فينَا مَاعرفنَاهُ عَجَمى لسَانَا
لِى طِلُوعَ الوَكِتَ قَت مَا انْقَطَعْ طَنَّانَا

شرح المفردات :

(١) أم رويق : هى المطر التى تروى كل الأراضى.
(٢) طلوع الوكت : الفجر.
(٣) الطنان : صوت نزول المطر.

يقول الشاعر بعد أن أستجاب الخريف لنداء ولده المستمد من رغبة الجماهير المشتاقة نزلت الأمطار غزيرة عليهم، وبدأ البرق يلمع فى سماء البطانة من وقت لآخر فهو يفتح عينه مرة ويغمضها مرة أخرى. والرعد يدوى دويا هائلا ويتحدث بلغة غير مفهومة لديهم. ويقول الشاعر إن الأمطار استمرت تهطل طول الليل حتى مطلع الفجر، فأرتوت الأرض وتشبعت بالماء وعندما أصبح الصبح وجدها الشاعر قد سالت وديانها. هاهو يرسم لنا تلك الصورة الفريدة فيقول:

أصْبَحْنَا الصَّبَاحْ شُفْنَا الأرضْ رَوْيَانَا
المَاء يَجرى من عَاليهَا لى وديَانَا
جَميعٌ الْفيهَا كَانْ الوَحش كَانَ إنُسَانَا
يَحْمُدْ رَبُّو حَمداً لَا عَدَدْ شُكْرَانَا

يقول الشاعر بعد أن أصبح الصبح وانتشر الضوء شاهدوا أرض البطانة وقد أرتوت بالمياه الوفيرة التى بدأت تنحدر من المرتفعات وتنساب داخل الوديان تحمل معها الخير والرخاء. وقد حمد جميع سكان أرض البطانة من بشر وحيوان رب العزة الذى كلاهما بعين رحمته وعطفه وهطلت عليهم السماء مدراراً وشربت الأرض من بعد عطش ونبت نباتها من بعد موت وجفاف ففرح الجميع وهللوا وكبروا.

ثم ماذا ؟

أرْضْنَا لِبْسَتْ التُّوبْ الخَضَارى مَتَانَا
عَشَّتْ وَاشْبَعَتّ فى الآخِرْ الّحَنَّانَا
وَاحْدِينْ حَضَّرُوا السَّلُوقه بِي كِرِيْانَا
وَاحدِينْ هَدمُوا وانْدَرَجُوا نَشَقُوا بُطَانَا

شرح المفردات :

(١) الخضارى : الأخضر.
(٢) السلوقه : آلة خشبية تستعمل للزراعة المطرية.
(٣) الحنانا : الناقة.
(٤) الكريان : الأجراء.
(٥) النشوق : الرحيل من أماكن الدمر.

هكذا يكمل الشاعر وصفه فهاهى أرض البطانة وقد كست الخضرة ربوعها ونبتت الحشائش وفرحت الأغنام فى أول انباتها وبعد أن كبرت تلك الحشائش وجدت النياق الكثير من النبات الذى أشبعها وأشبعت بلبنها أصحابها وقام بعضهم يستعدون للزراعة وأعدوا آلاتها والأجراء وقام البعض بهدم منازلهم المؤقتة وساقوا إبلهم وماشيتهم متجهين نحو أرض البطانة الفيحاء.

هذه الصورة التى رسمها هؤلاء الشعراء لأرض البطانة صادقة بحق ولأنهم يحبون أرضهم ويعزونها فإن كل كلمة تقال فيها تنبع أصلا من سويداء الفؤاد وتعبر بصدق وحرارة عن الغرض الذى ينظمون فيه شعرهم.

الابل

تعتبر الأبل من أعظم وأفضل الحيوانات فى أرض البطانة، وان كانت المفضلة فى جميع بوادى السودان. فهى الوسيلة الوحيدة تقريباً لتنقلهم من مكان لآخر خاصة فى أيام الخريف وقبل ان تصل العربات الى جميع ربوع البطانة. والأبل أنواع ولها أسماء مختلفة منها العربى وهذا النوع يستعمل فى حمل الأثقال وهو من أبطأ وأردأ انواع الابل ولكنه يمتاز عن بقية الانواع الاخرى بغزارة اللحم وكثرة اللبن. فالنياق العربية لبونة ولكثرة لحمها وشحمها فان لها شهرة عالمية فى الأسواق التجارية.

أما النوع الثانى من الابل فهو «العنافى» فهذا أجمل انواع الابل فى صورته وهيكله العام وأسرعها طراً فى السير، ويمتاز بنحافة الجسم وهو مفرط الحساسية وغالبية إستعماله فى السباق وهى رياضة محببة لعرب البطانة كافة.

والنوع الثالث يطلق عليه اسم البشارى نسبة لقبيلة البشاريين والتى يكثر عندها هذا النوع من الابل. ويسمى العنافى «بالأصهب» او الحر ويأتى البشارى فى المرتبة الثانية له. والابل البشارية لا تتحمل العطش ولا التعب ولكنها مريحة فى الركوب.

الصفات المميزة للابل:ـ

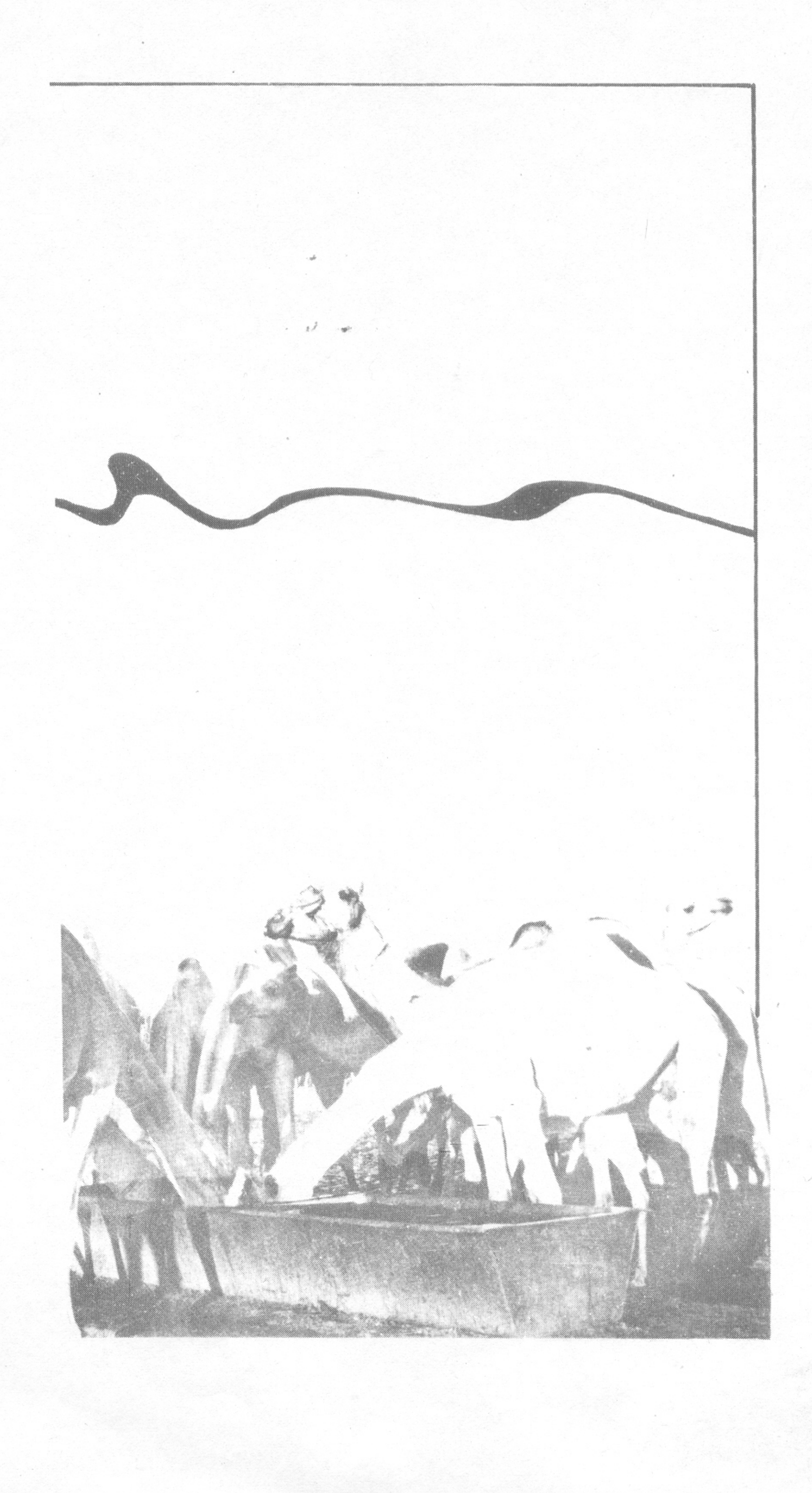
١ـ قليلة التكاثر فالناقة لا تلد إلا بعد عامين من ولادتها الاولى تقريبا.

٢ـ لا تتأثر كثيراً بسنوات الجدب والمحل.

٣ـ يمكنها السير إلى مسافات بعيدة كما إنها تعيش اياما كثيرة بدون ماء أو عشب.

أمراض الابل

أمراض الابل كثيرة ومتنوعة منها أمراض معدية سريعة الانتشار مثل مرض الجرب والجفار الذى تسببه ذبابة خاصة تكثر فى جنوب سهل البطانة وهناك أمراض أُخرى ولكنها غير معدية مثل الهبوب ومرض النحاس ومرض الغدة الذى تسببه الأتربة التى تخالط النباتات الخضراء ومرض الجفار تظهر اعراضه سريعا، فالجفار تظهر اعراضه بعد مضى اربعين يوما من لسعة الذبابة، اما مرض الدود وهو مرض من الامراض المشهورة التى تصيب الابل يجىء نتيجة للنباتات الخضراء فى ايام



الخـريف، تلك التى تكـون قد رعتها الابل من قبل وتظهر اعراض هذا المرض فى فصل الصيف غالبا وبعد ارتفاع درجة الحرارة.

مراحل تطور الابل:ـ

يسمى رضيـع الناقة فى عامه الأول (حوارا) وفى بداية العام الثانى يطلق عليه اسم «المفرود» لانه يكون قد أفرد من أمه وتم تلقيحها ويمكث جنينهـا الثـانى فى بطنها اثنى عشر شهراً وعندما تلد يكون قد مر على الولادة الأولى عامان.

يلى المفرود [ود اللبون] ثم الحقة او الحق يطلق عليه اسم «البكرة» إذا كانت انثى أو «القعود» ان كان ذكرا، ويتم تلقيح البكرة وهى بنت لبون إذا توفر لها العشب والنباتات الجيدة المغذية، ثم تجىء التسميات التالية على التوالى مع ملاحظة أن الفرق بين كل تسمية وأخرى عام كامل وهى:ـ جدعة، تنيه، رباع، سديس نائب وهى المرحلة الأخيرة التى تكتمل فيها قوة البعير.

أهمية الابل عند أهل البطانة:ـ

١ـ مصدر رزقهم وثروتهم ويبيعونها فى كميات كبيرة.

٢ـ يرتحلون عليها فى تنقلهم من مكان لاخر جريا وراء العشب.

٣ـ يشربون ألبانها وهى لذيذة ومغذية.

٤ـ يستفاد من أوبارها فى صنع الشمال والأغطية والأفرشة والأبسطة.

٥ـ يستفاد من جلودها فى صنع الحبال القوية.

أهم أسواق البطانة:ـ

١ـ الدامـر عاصمـة مديرية النيل وهى أكبر وأهم سوق لإبل قبائل البطانة، ٢ـ تمبول ٣ـ القضارف ٤ـ رفاعة ٥ـ حلفا الجديدة.

أما جمهورية مصر العربية فتعتبر أهم أسواقهم خارج القطر.

ان كان شعـراء البطانة تطرقوا لكل أبواب الشعر فقد نظموا أيضاً الكثـير من الأشعـار فى وصف الإبل ومدحها ولا سيما أن الابل تعتبر مصدرًا إقتصاديا هاماً للبطانيين.

ها هو الشاعر إبراهيم سليمان الذى يكاد أن يطلق عليه اسم شاعر الناقة لكثرة ما وصفها يقول:ـ

بتَ أبَ طيره شبـعَتْ فى العَـوَجْ والذُّلْ
وُبـقَـيَـتَ حَالَه اشْـبَـه بِى مريضَ السُّـلْ
أرْجُـوكْ يَا مُحَـمَّدْ يَا شَفِـيـعْ الْكُـلْ
تَدَّهَـا فُوقْ صَنَـاقـيرْ الْمَـقَـيَّـدْ ضُلْ

شرح المفردات :ـ

(١) الصناقير: الأراضى المرتفعة.
(٢) المقيد : اسم مكان.

بت أب طيره ناقته، ولعل أباها أسمه «اب طيره» لقد عانت ما عانت لأن الخريف كان شحيحا أو لعله لم يأت مطلقا، وقد عم الجفاف كل الديار لدرجة أن ناقته بالرغم من انها صبورة وشديدة التحمل كانت تعانى من الجدب مما جعلها هزيلة أشبه بذلك الرجل المصاب بمرض السل.

ولما كان المحل شديداً فانه تضرع طالباً من شفيع الأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان يعطيها سحابة مطر تظللها وينهمر مطرها.

ويحبون الابل حباً كثيراً وتجدهم يسخرون من الذين لا يربونها.

أقرأ للشاعر إبراهيم سليمان نفسه :ـ

وَقَـعْ مَطَرْ الْبـطينْ وُلِلْمـسَـاديـرْ خَسَّرْ
سيـدْ أَمْ زُورْ عَلى راعـى النِّعـاَجْ اتْـنَصَّرْ
أُمَـاتْ الْبـهـيـجْ بَعَـدْ النَّـجِّـمْ مَا عَصَّرْ
مَاجَـابُـولَنْ الْعِـيشْ لِلْعَـلِيـقـه وُقَصَّرْ

شرح المفردات :ـ

١ ـ وقع مطر البطين: البطين منزل من منازل المطر.
٢ ـ ام زور: الناقة ٣ ـ ما عصر: غرب.
٤ ـ البهيج: يعنى به الجمل الفحل.
٥ ـ قصر: لم يكفها.

يقول الشاعر:

ان المطر قد نزل قبل أوانه مما أثر تأثيراً شديداً فى العشب فأفقده قيمته الغذائية الشىء الذى جعل أصحاب الأغنام والأبقار يقلقون لمصير أغنامهم. أما أهل الابل فقد انتصروا عليهم لان إبلهم تستطيع ان تسير مسافات طويلة حيثما يوجد العشب والخير أما أصحاب الأغنام فهم فى حيرة من أمرهم يشترون لها «العليقة» أى الذرة فلا يكفيها ولا يشبعها.

ويـرسم الشيـخ نصر الدين أحمـد [الدليقابى] صورة رائعة لحالة الضأن وصغار الماشية فى سنوات المحل فيقول :ـ

الضَـانْ أَكَـلْ بَعَـضُـو وُتـلَ رَقَّـاعْ
وَالْبَـقَـرْ التَّعـيشْ وَدُّوه لِلْجَـزَرْ مَا نْبَـاعْ

وَدَّ أَمْ زُورْ وكـتْ يَلْقَـي عَقِـيدُو مُونَجَّـاعْ
تَلْقَـي أُمَـاتُـو قَبَـلْ الْجَـزِيـرَه رُتَّـاعْ

شرح المفردات:ـ

١ ـ تل: اصبح ٢ ـ رقاع: جلد على عظم.
٣ ـ ود أم زور: رضيع الناقة ٤ ـ وكت: عندما يجد.
٥ ـ عقيدو: الشخص الذى يقوده إلى مكان العشب.

يعنى الشاعر بعبارة «الضان أكل بعضو» أن أصحاب الضان بدأوا يبيعون بعض أغنامهم لشراء الذره للبقية الباقية لأنقاذها من الموت فكأن هذه الاغنام بدأت تأكل بعضها البعض، وهى صورة مؤلمة بحق وحتى الأبقار لم تصمد لتلك الأيام العصيبة فقد أصبحت جلوداً على عظام ورفض الجزارون شرأها لأنها هزيلة لايؤكل لحمها ويفخر بالجمال حيث يقول أن رضيع الناقة الصغير إذا وجد من يقوده إلى اماكن العشب يستطيع أن يسير مسافات بعيدة.

وعندما يكون المطر قليلا فإن أهل الضان والماعز والبقر يعيشون فى هم كبير ولكن أهل الابل لايؤثر فيهم المحل مهما كان.

اللَّيَّامْ بَشُوفْ أَهَـلْ الْغَنَـمْ مَهَمُومَـه
وُكُـلْ مَرَّه عَلَى الْدُكَـانْ يَقِيفَـنْ زُومَـه
الْمَحَلَه الْمُطَرْبَحَـه وَالْوَطَى الْمَهَدُومَـه
بطَرْبَحْبِهَـا أمْ زُورْ لِلقَلُوعْ فِى يُومَـه

شرح المفردات:

(١) الليام: هذه الايام (٢) بشوف: اشاهد وارى
(٣) يقيفن: يقفن (٤) زومه: مجموعات
(٥) المحلة: الارض الخالية من النباتات
(٦) المطربحه: الواسعة (٧) الوطى: الارض
(٨) بطربحبها: تمشيها (٩) المهدومه: المشققة
(١٠) القلوع: اسم مكان (١١) ام زور: الناقه

يقول الشاعر متهكماً أنه فى أيام القحط يجد أصحاب الضأن والماعز أنفسهم فى قلق حقيقى، فها هم يجمعون أغنامهم امام الدكان ليعطى لها الذره ولكن بالرغم من ذلك القحط الشديد فإن الناقة لا تتأثر كثيراً بهذا القحط، بل أنها تستطيع أن تسير مسافات طويلة إلى الأماكن التى تجد فيها العشب وهذا ما لا تستطيع الاغنام ان تفعله، وهو بهذا يشير الى ضعف الأغنام وإنها بالمقارنة بالابل لا تساوى شيئاً.

ولأهمية الابل فان سكان البطانة يحتقرون كل ما عداها من حيوانات هاهو الشاعر إبراهيم سليمان يرسم لنا صورة حية لسنة قاحلة وكيف أن الابل لا تتأثر بالمحل ويتحسن وضعها كثيراً بالنسبة لما عداها:ـ

طَالَتْ وأَمَّـغَـتُ فِنْـقـيـلَه أَبِـى ما يْضَّـيـفْ
والنـجَّـامَـه حالُونَـا الضَّراعْ لِلصِّـيـفْ
انـجَـلَتْ الْبـسَـافْـرُوبَ الْعَـبَـانْـده الرَّيـفْ
غنُّـومْ الدَّراهِـمْ يَعْـمَـلُولِنْ كِيـفْ؟

شرح المفردات:ـ

(١) الضراع: أول منازل المطر.
(٢) النجامه: الذين يعرفون منازل المطر «المنجمون».
(٣) غنوم: أغنام.
(٤) الريف: مصر.

يقول الشاعر ـن القحط كان شديداً. واستمرت الرياح تهب عنيفة من جهة الغرب دليلا على أن المطر لم يهطل فى ذلك المنزل الفلكى. بالرغم من هذا القحط الشديد فان الابل لم تتأثر أبداً بل تجلت فى أبهى صورها. ولكن الألاغنام هزلت واصبحت اسعارها دراهم معدودات ويتهكم على اصحابها فيقول لهم ماذا أنتم فاعلون بها.

ويهتم أهل البطانة بمعرفة النجوم والرياح والظواهر الطبيعية خاصة منـازل المـطر وذلك لاهتمامهم بتوفير الغذاء المتكامل لابلهم ومواشيهم واعتمادهم على الطبيعة وماتاتى به من نفع أو ضر.

هذا شاعر يحادث ناقته ويبدو أن الجدب كان شديداً.

لَحَّـاحْ الْغَـربْ سَاقْ لِلْمَـنَـازِلْ خَيَّسْ
وُقَـلْـبـك مِنْ رَحـمْـةَ السَّـيِّـدْ نَعَـلْ مَا أَيَّسْ
الضِّـيَـقْ مِنْ هَلاَلَه والصَّـحـابَـه مَسَـيَّسْ
قَالوُا بعـقْـبَـوُ خيراً فِيـضـوُا مَا بتْـقَـيَّسْ

شرح المفردات:ـ

١ ـ لحاح الغرب: الرياح التى تهب من جهة الغرب.
٢ ـ المنازل: منزل المطر ويعادل المنزل ثلاثة عشر يوما.
٣ ـ خيس: أبطل.
٤ ـ نعل: لعل.

يقول الشاعر مخاطباً ناقته يجب ألّا يملأ قبلها اليأس ويطمئنها بأن الضيق لابـد ان يعقبـه الفرج فهذا امر معروف منذ زمن قبيلة هلالة وأصحاب الرسول «ص» ورضوان الله عليهم.

وعندما يشتد المحل فإنه لابد لهم من الانتقال من مكان لاخر بحثا عن العشب ها هو الشاعر ابراهيم سليمان يصف حاله وقد اجبرته الظروف على ترك البطانة والهجرة بابله إلى أرض القاش ولم تكن نفسه راضية عن هذا الانتقال.

الْقَـاشْ الْبَـقِـيرُو كَتِـيرْ مَعَـاكْ مُوخَـايـِل
وُنَـتْـعَـدَّاهُ مَادَابـِنُّـو فَكْـرَكْ جَايـِلْ
بْرْجَـاكْ الـنِّـقِـيرْ جَايـِبْ لَبْـلَبُـو الْمُـو مَايـِلْ
وُنْـزَلُوه اوْلاَدْ أَبـوُنَـا الْقَايْلَه وُاصْبَحْ سَايـِلْ

شرح المفردات:ـ

(١) البقيرو: أبقاره ٢ ـ موخايل: غير مناسب.
(٣) نتعداه: نذهب عنه ٤ ـ مادابنو: ما دام.
(٥) جايل: حائر ٦ ـ النقير: اسم مكان.
(٧) اللبلب: نوع من نباتات الأرض ٨ ـ الموايل: الجيد الحسن.
(٩) القايله: ساعة القيلولة.

يخاطب ناقته ويقول لها أن أرض القاش التى تكثر فيها الأبقار وتقل فيها الابل غير مناسبة لك وما دامت غير راضية عنها فلابد من تركها والتوجه إلى البطانة. وهناك تجدين مكانك المفضل [النقير] وقد كساه نبات اللبلب الأخضر ونجد اهلنا قد سبقونا اليه ونزلوه نهاراً ساعة القيلولة وهطلت الامطار ليلاً وقد اصبح نباته اخضر يانعا حيث ترتعين مع إبل الأهل والأحبة.

ولكن لماذا يعتنون بهذه الابل ولماذا يهتمون بتوفير المأكل لها؟

الْخَـلاَّنـى بَرَدَ الْقَـاشْ مَعَـاكْ وَاتْـغَـرَّبْ
شَـايـْفَـلْكْ ضِيـُوفْ زَمَـنْ السِّنِينْ تَتْكَـرَّبْ
أَبْشْرِى الصَيْفِى وَجْهُـو عَلِيـكْ وُخِيـرِك قَرَّبْ
لاَبُـدْ نَزْلَه فِى اللِّيـدْ المَـقَـامَـه مَحَـرَّبْ

شرح المفردات:ـ

١ ـ الخلانى: الذى جعلنى.

٢ ـ الصيفى: الأمطار التى تنزل فى أول الصيف.

٣ ـ محرب: نبات المحريب.

ونـلاحظ فى المقطوعات الشعرية السابقة عمق الرابطة النفسية بين الشاعر وناقته وكأنه يخاطب أعز الناس إلى قلبه.

سباق الجمال:ـ

من الهوايات المحببة لأهل البطانة سباق الجمال الحره. والجمل الحر له مكانته عند سكان البطانة ونجدهم يصرفون عليه أموالاً طائلة ولذلك لا نجد غرابة فى أن يتبارى الشعراء فى وصف الجمال الجيدة الأصيلة هذا شاعر يصف جمله السريع فيقول:

اللخضر عنانيف الجرى النَّدَّارْ
جَنْ جَارّيَات وَرَاكُ كَايُسَات خَلاص التار
بَعَد مَا وصّلَنْ مِيسْ العناد الحَار
جِيت وْجَهَك خَلَا وُضِهَرَك وَرَاهُ كُتَار

شرح المفردات:ـ

١ ـ اللخضر: صفة لجمله «لونه رمادى».
٢ ـ عنانيف: مفردها عنافى وهو الجمل الحر.
٣ ـ الندار: النادر.
٤ ـ كايسات: باحثات.
٥ ـ التار: الثأر.

يصف الشاعر جمله الرمادى اللون ويقول إنه دائما يسبق الجمال الأخرى وها هى اليوم جاءت لتاخذ بثأرها وتسترد كرامتها ولكن عندما وصلت نهاية السباق كنت الوحيد الذى وصل أولا وتركتها خلفك ولم يكن أمامك واحد منها:ـ

وهذا آخر يصف جمله الذى ما نافسه آخر إلا وانتصر عليه:ـ

الْكَايِسْ زُبَاكْ وُمِنْ صَبَاحو مبَدِّرْ
اسْقِيتُو الْمَرَايِرْ الْحَالَتِنْ بتْكَدِّرْ
بالْجَدْعَ الْمفَاسَحْ وَالْجَرى الْمتْحَضِّرْ
فَرَطْ اللِّيدُو نَفَايْةَ الْهَوَا الَبْسَدِّرْ

شرح المفردات :ـ

١ ـ الكايس زباك : الذى يريد منافستك.

٢ ـ نفاية الهوا : عصار الهواء الذى يرتفع عالياً ويهبط مرة آخرى.

يقول شاعرنا

مخاطباً جمله : أن الذى جاء لمنافستك مبكراً أستطعت ان تنتصر عليه إنتصاراً باهراً ولا غرابة فى ذلك فانت جمل حر تجيد الجرى وأنت على استعداد له دائما وأبدا ويصف جمله بأن أرجله تشبه الريح السريعة التى ترتفع إلى كبد السماء ثم تهبط مرة أخرى ويطلقون عليها اسم «العصار»

[هذه صورة عامة ومختصرة للابل وقد قصدنا من وصف الابل ومكانتها عند أهل البطانة أن نخلص لموضوع آخر ومهم وهو سرقة الابل وكيف ولماذا ومتى تسرق؟

الهمبته

لقد كانت وما زالت سرقة الابل من المشكلات الأساسية التى يعانى منها أهل البطانة بالرغم من أنها أصبحت بمرور الزمن مألوفة لديهم.

تعرف سرقة الابل عند أهل البطانة «بالنهيض» ويطلق على الفرد «نهاض» وعلى الجمع (نهاضين) كما تعرف [بالمهجر] ويطلق على الفرد مهاجرى وقد عرفت حديثا بالهمبته.

يجد الدارس لحياة المهاجره أو النهاضين تشابهاً واضحاً وملموساً بينهم وبين حياة شعراء الصعاليك فى الجاهلية أمثال عروة بن الورد والشنفرى والسليك وغيرهم من شذاذ العرب، غير أن طبقة الصعاليك تعتبر طبقة منبوذة فى أوساط المجتمعات التى ينتمون إليها وذلك لوضاعة اصلهم او خروجهم وتمردهم على تقاليد تلك المجتمعات، وربما كان دافعهم لهذا النهب والسلب هو الحقد والفقر وتكسير الحواجز الطبقية التى تفصل بينهم وبين غيرهم من الناس على عكس جماعة المهاجرة أو النهاضين والذين يجدون احتراماً وتقديراً فائقا من قبل مجتمعات القبائل التى يعيشون فى أوساطها بل يعتبرون فى بعض الأحيان المثل الأعلى لشبان القبائل. كما أن أكثرهم ينتمى إلى أسر عريقة النسب والحسب، شديدة الثراء ولكنهم لجأوا لمثل هذه السرقات لدوافع وأسباب عديدة.

ولعل أشهر القبائل التى أشتهرت بسرقة الابل هى قبيلة البطاحين لقد أنجبت هذه القبيلة الكثير من مشاهير المهاجره والنهاضين الذين كانت لهم صولات وجولات على طول وعرض سهل البطانة، مثل عثمان ود النعيم، والصديق ود التركاوى وطه ود أب زيد، «طه الضرير» وأخيه محمد الملقب «بالجعلى» وأب زيد محمد أب زيد، وإذا استثنينا من هذه المجموعة عثمان ود النعيم، والصديق ود التركاوى نجد الآخرين جميعهم ينتمون الى فرع العلاماب ذلك الفرع الذى لعب أفراده دوراً بارزاً فى عالم النهيض والمهجر، دون سائر فروع البطاحين الأخرى كما عرفوا بشدة عنادهم وصلابتهم وتمردهم على كل ما لا يعجبهم أو يروق لهم ويرجع هذا إلى شعورهم وإحساسهم بأنهم فرع زعامة وصدارة منذ أزمان بعيدة وقد انتقلت هذه المجموعة جميعها إلى جوار ربها عدا العم كيقه ود عمران الذى كان نهاضاً خطيراً تجسدت فيه كل صفات المهاجرى الأصيل من كرم وشجاعة وعفة مشهود لها فأصبح اليوم تقياً ورعاً.

لم تستطع الحكومات السابقة منذ العهد التركى وحتى نهاية العهد الانجليزى أن تحد من نشاط البطاحين فى هذا الميدان رغم التنكيل والقتل الجماعى الذى ألم بهم خاصة فى عهد الخليفة عبد الله التعايشى.

ولكن بمرور الزمن تقلص نشاطهم وأتجهوا الى أعمال اخرى اكثر ربحاً وأوفر استقراراً ثم برزت قبائل أخرى لم تكن فى الازمان السابقة تتطاول لنهب وسلب حقوق الغير، فاصبحت اليوم هذه القبائل أكثر مراسا وأشد خطورة فى سرقة الابل من البطاحين أنفسهم.

وإذا سلطنا الأضواء على الأسباب الأساسية التى دفعت بهؤلاء المواطنين لمثل هذا المسلك الغريب نجد أنها تتلخص فى الاتى:-

١ - يعتقد هؤلاء المهاجرة أن سرقة الابل ضرب من ضروب الفروسية وميدان واسع لهم لممارسة شجاعتهم وذلك لاعتقادهم بأنهم يقومون بأفعال فيها الكثير من المخاطرة والمجازفة، لأن الابل التى تدر أموالاً كثيرة وتعتبر مصدراً إقتصادياً هاما عند البدويين لا شك سوف تعرض سارقها للقتل أو التنكيل به من قبل أصحابها الذين يعانون متاعب جمة فى تربيتها والاشراف عليها فهم بذلك يعتقدون أن مثل هذا الفعل الخطير لا يقدم على معله إلا صناديد الرجال.

٢ - الضغائن والعداوات التى تنشب بين قبيلة وأخرى، وخير دليل على ذلك المهاجرى الكبير الطيب عبد القادر ود ضحويه الذى لم يسلك طريق السرقة إلا بعد ان قتلت قبيلة «الخواوين» أخاه كرارا، وأحرقت جثته بعد أن مثلت بها أبشع تمثيل.

٣ - الحصول على أكبر قدر من المال للصرف منه على الجوارى والعشيقات.

٤ - الفقر فى بعض الأحيان يكون الدافع القوى لمثل هذه السرقات كما أن هناك بعض العوامل المساعدة للسرقة يمكن ابرازها فى الآتى:-

أ - سهولة الحركة فى أرض البطانة وسهولة إخفاء المسروقات عن أعين أصحابها وذلك لاتساع سهل البطانة ووجود الكثير من الأماكن التى تصلح لاخفاء الابل المسروقة.

ب - ان أغلب المهاجرة يتعففون عن سرقة ممتلكات قبائلهم أو جيرانهم مما جعلهم يتسترون عليهم وعلى مسروقاتهم وإن كان هذا لا يمنع من وجود بعض الذين لا يراعون حرمة قبيلة ولا جار، إلا ان هؤلاء نجدهم محتقرين إحتقاراً شديداً من افراد قبائلهم والمجتمعات التى يعيشون فى أوساطها، وغالباً ما يكون هؤلاء من اصل وضيع ومن بيوت يخيم الفقر عليها.

ج - يختار المهاجرة أوقاتاً معينة لسرقاتهم حيث يتم هذا فى بداية فصل «الرشاش» وعندما تهب العواصف الرملية فتمحو آثارهم وآثار الابل

المسروقة فلا يعرف أحد الجهة التى اتجهت إليها مما يعطل طلابها ويجدون متسعا لبيعها.

د - أعتادت اغلب قبائل البطانة على عدم تقديم المهاجرى إلى العدالة (الحكومة) وحتى عندما تثبت عليه التهمة بالدليل القاطع وإنما تلجأ قبيلة صاحب الابل المسروقة إلى قبيلة السارق وتطلب منها دفع قيمة الابل المسروقة سواء كان ذلك عيناً أم نقداً، ويعرف هذا النظام بالسالف وهو الطريق الامثل تقريباً لحل مشاكلهم وقضاياهم حلا سلمياً دون اللجوء إلى المحاكم، ولا تمانع قبيلة السارق من دفع المقابل وذلك حفاظاً على علاقات الود وحسن الجوار وإخماد نار الفتنة قبل استفحالها، ولا سيما ان قبائل البطانة على إختلاف مشاربها تربط بينها علاقات حميدة فما دام أن السالف أو العرف الأهلى هو الذى يحكم فى مثل هذه السرقات أيضا فهذا عامل مساعد على انتشار السرقة ما دامت عاقبتها ليست السجن على كل حال.

هـ الهلع والارهاب الذى بثه هؤلاء المهاجره والنهاضون فى نفوس المواطنين جعلهم لا يجرأون على الارشاد عن الابل المسروقة حتى ولو رأوها تمر أمام أعينهم الشىء الذى ساعد على إعطاء المهاجره الكثير من الأمان ومما تجدر الاشارة إليه أن زعماء المهاجرة يستقبلون الابل المسروقة من تلاميذهم حيث يوفرون لها المكان الملائم الذى لا يمكن لعين أصحابها الوقوع عليه ويحتفظون بها حتى يأتى إلى ديارهم أصحابها يسألون عما إذا كان هذا الزعيم أو ذاك قد رأى أو نما الى علمه مكان وجود إبلهم، وبذكاء حاد وتجربة طويلة يبدأ الزعيم فى مساومتهم ويخطرهم بأنه دائماً فى خدمتهم وأن قبيلته كلها فداء لهم ولكنه يحدد سعراً لكل رأس منها، فهو يعرف مكانها جيداً واصحابها يعرفون أنه يعرف ولكنهم يغضون النظر عن ذلك فيتم اتفاقهم معه، والغريب فى الامر إن أصحاب الابل بعد أن يعثروا عليها يشكرون الزعيم كثيراً على ما بذله من جهد فى البحث وراء إبلهم المسروقة فلا يحاولون اللجوء إلى السلطات للقبض عليه أو على تلاميذه وذلك لخوفهم من ان تسرق هذه الابل مرة أخرى بعد ان ساءت معاملتهم مع الزعيم وتلاميذه ونجدهم يرددون دائماً فى مثل هذه الحالات المثل السودانى القائل «المال تلتو ولا كتلتو» فيا ترى هل أنهم مؤمنون ايمانا جازما بهذا المثل ام انهم فى حيرة من أمرهم إزاء هذا السرطان الذى ظل ملازماً لاجسادهم ازماناً طويلة؟

ليس بالضرورة أن يكون كل المهاجره شعراء وان كان اغلبهم ينظم الشعر او يحفظه وأن كان الشعر قد رفع من مكانه بعضهم وخلق لهم بطولات قد تكون غير حقيقية.



أغلب المهاجره لا يتزوجون ولعل وجود خليلات كثيرات هو البديل الطبيعى لهذا الوضع وتتمتع الخليلة بوضع ممتاز فى حياة المهاجره هذا أحدهم يصف حاله ويقول:ـ

يُومـاً بِى مَجَـالِسْ أُمَّاتْ عرُوضْ بنْفَرِّقْ
وَيُـوماً نِحْنِ فى الْعَقَبَـه اللُّهُـوبَـه بْحَرِّقْ
يَا مْسِيكَـةَ اَلْبِـدفْ منْ الدَّمْيَره مَشَرِّقْ
بَرْضِيَـكْ بِى رَدَايْـفـاً قَلْبِـى لِيهِنْ جَرِّقْ

شرح المفردات:ـ

١ ـ أمات عروض: يعنى بها البنات ٢ ـ العقبة: الصحراء.
٣ ـ اللهوب: الهجير وشدة الحر. ٤ ـ البدف: الذى يعوم.
٥ ـ الدميرة: وقت الفيضان. ٦ ـ ردايف: الابل السمينة.
٧ ـ جرق: معتاد ومدرب.

يقول إننا نقضى يوماً كاملاً فى مجالس انس مع فتيات جميلات ونمضى وقتنا لهوا وسمرا وقد يمر علينا اليوم الاخر: نحن على ظهور جمالنا القوية ننهب الابل فى هجير تحرق سمومه جلودنا ويخاطب خليلته واصفاً إياها «بمسك التمساح القوى الجبار الذى لا يستطيع النهر حتى فى أيام فيضانه ان يقوى عليه، بل انه يعوم على عكس تياره ومثل هذا التمساح يكون مسكه عطراً طيب الرائحة» بأنه سوف يسعدها ويرضيها عندما يبيع تلك الابل السمينة.

ويقول شاعر نهاض آخر:ـ

كَمْ شَدِّيـتْ عَلَى التِّـلْبَ الكُـزَازِى أَبْ دُومَـه
وُكَـمْ قَطَعتـهن منْ سنْجَـه طَالْبَـات رُومَـه
الرُّوحْ مَاتْـفَـارْقَ الْجِتَّـه قُبَّـالْ يُومَـه
يَارِيـتْ كُلُّ نَسْـلَمْ مِنْ فِلَانَـه وُلُومَـه

شرح المفردات:ـ

١ ـ شديت: ركبت ٢ ـ التلب الكزازى: يقصد به جمله القوى.
٣ ـ رومه: يعنى بها مدينة أروما فى شرق السودان.
٤ ـ الجته: الجثة.

انه كثيراً ما ركب على جمله ساعيا فى البحث عن الابل السمينة لسرقتها

ويصف كيف يسوق تلك الابل أمامه وهى كثيرة العدد من مدينة سنجة ألى مدينة اروما فى شرق السودان، حيث يجد هناك من يستطيع دفع ثمنها وقد تقابله الكثير من المخاطر إلا أنه واثق بأنه لن يموت إلا إذا جاء أجله وهو بهذا يعبر عن عدم خشيته من أصحاب الابل فهو لم يستطع تحقيق رغبات محبوبته ووعوده لها قبل سفره إذ هو جبن وتردد فى نهب الابل.

وإذا نظرنا إلى البيت الذى يقول فيه «الروح ما بتفارق الجته من غير يومه» نجده شبيها بقول تأبط شرا:ـ

وإنـــى وإن عمـرت أعـلـم أنـنـى
سـألقـى سنـان المـوت يبـرق أصـلـعـا

فى المجموعتين السابقيتن من الأبيات يتضح لنا مدى أهمية الخليلة فى حياة لصوص الابل. ولعل إرضاء هذه المحبوبة هو العامل الأقوى فى دفع المهاجره لمواصلة سرقة الابل. والخليلة وهى امرأة مومس لا تحترم إلا الشجاع الذى يرضيها ماديّاً وادبياً بين صاحباتها.

ونجدهم كما أسلفنا لا يخافون من السجن بل يعتزون بذلك فالسجن والقيد لا يمنعهم من مزاولة السرقة مهما كان الارهاب. هذا شاعر نهاض من قبيلة البطاحين يخاطب أحد حكام الانجليز أيام الاستعمار فيقول:ـ

مِنْ زَمَـنْ الْخَـلِيـفَـه مغـلبـنُّـوا كُبَـارْنَـا
قَاطْعِـيـنْ رُوسْـنَـا وُغَـنَـمُّـوا مَالْنَـا
فى الْحَـارَه أُمْ سلاَحـاً يَعْـوِى نَسْـتُـرْ حَالْنَـا
يَا كَارِلسْ مُعَـذِّب بِيـنَـا مَالَكْ وُمَـالْنَـا

شرح المفردات:ـ

١ ـ الخليفة: هو خليفة المهدى. ٢ ـ روسنا: رءوسنا.
٣ ـ الحاره: الحرب ٤ ـ كارلس: اسم الانجليزى الذى حاكمه وكان مفتشاً اشتهر بالغرور والصلف والتشدد فى حكمه.

ان السرقـة ليست شيئـا جديداً عليهم فهـذه عادة قد ورثوها عن أجدادهم الذين فشل خليفة المهدى فى الحيلولة بينهم وبينها بالرغم من أن الخليفة قد قتل الكثيرين منهم وأخذ أموالهم غنيمة لا ترد ويقول أنهم شجعان مثل أجدادهم لا تلين عريكتهم حتى عندما تنشب تلك المعارك الضارية التى تنطلق فيها البنادق داوية كالرعد فلا داعى يا مستر كارلس أن تتعب نفسك وتشغلها بشىء لا تجنى من ورائه فائدة.

ويقول نفس هذا الشاعر:ـ

من زَمَن الْخَلِيفَه الْحَال بقت مَرهُونَه
وَعُضَامْ شِيَابْنَا رَاقْدَاتْ فِي الْمشَانِقْ شُونَه
بالْقِيدِ والسِّجن يَا أَحْمُودَه مَا بهدُّونَه
نَحنِ أَخْوَانْ بِرَيرِيبَةْ الْجُزو الدّرفُونَه

شرح المفردات:

١ ـ بقت: أصبحت ٢ ـ بريريبة: ظبية وهى تصغير لكلمة بريبة.
٣ ـ مرهونة: طبيعية ٤ ـ الدرفونة: الصغيرة

يكرر الشاعر «النهاض» ما قاله فى أبياته السابقة فيقول أن السرقة مألوفة لدى أجدادهم منذ عهد الخليفة الذى قتل الكثيرين منهم حتى صارت رؤوسهم أكواماً تحت المشانق.

ويخاطب صديقه أحمودة ويقول له ان القيد والسجن لا يمنعنا ولا يخيفنا من معاودة سرقة الابل،ويفخر بأنهم أخوة فتاة جميلة تشبه الظبية الرشيقة التى ترعى دائماً نبات «الجزو» الذى ينبت فى الأرض المنخفضة ويحتفظ بخضرته ويناعته حتى نهاية فصل الشتاء، وتعيش عليه الظباء بدون ماء مدة طويلة لذلك تصبح جميلة وجذابة.

ونجد فى أخلاق المهاجرة ثورة عارمة على الأغنياء خاصة البخلاء منهم الذين لا يرحمون فقيراً ولا يبرون قريباً، كما نجد بينهم الحاقد الذى يكره ما عند الآخرين فينتزعه لنفسه انتزاعاً دون أن يفكر فى مثل أو أخلاق وقد يكون مال يتيم أو إمرأة ليس لها من يعولها ويحميها.

يقول هذا الشاعر المهاجرى:ـ

مَا دَامْ أَمْ قجَّه وَارْدَه وُسَادْرَه بالمِسْدَارْ
شِنْ جَابِرْ عَلِي الحَشْ وَالمُلُودْ الحَارْ
إِبْلَ الْبِعْشِي مِرَيتُو قَبْلَ الجَارْ
نُوَدِيهِ دُورِينْ غَرِبْ سنَّارْ

شرح المفردات:

(١) أم قجة: الناقة السمينة التى ينمو صوفها غزيراً على سنامها.
(٢) واردة وسادرة: أى أنها ترد مشارع المياه ثم تذهب إلى أماكن العشب.
(٣) دورين ما يعادل ستة عشر يوماً.

يقول: «ما دام هناك نياق سمينة ذات شعر غزير ينمو على ظهورها المكتنزة بالشحم واللحم نشاهدها كل يوم ترد موارد المياه وترعى فى أماكن العشب والكلأ» فما الذى يجبرنا على الزراعة والتعب فلماذا لا ننهب هذه الابل التى يبخل صاحبها عن إطعام جاره من لبنها فى الوقت الذى يهتم اهتماماً كبيراً بتوفير الغذاء لزوجته وأبنائه وحدهم فهذا المالك البخيل لا يستحق أن يمتلك مثل هذه النياق الكثيرة فلا بد من الانتقام منه إنتقاماً رهيباً وذلك بسرقتها منه والاتجاه بها بعيداً نحو مدينة سنار، ومن سنار نذهب بها «دورين» غرباً حتى لا يستطيع صاحبها أن يلحق بها. ومن هنا يظهر لنا كرم المهاجره وعطفهم على الفقراء وتقديرهم الانسانى للجار والعشير فكأنهم بسرقاتهم هذه يريدون تطبيق الاشتراكية والعدالة فى مجتمعاتهم، يقول أبو الصعاليك عروة بين الورد فى هذا الصدد:

أنى امرؤ عافى إنائى شركة
وانت امرؤ عافى إنائك واحد
أتهزأ منى إن سمنت وقد ترى
بجسمى مس الحق والحق، جاهد
أُقسم جسمى فى جسوم كثيرة
وأحسو قراح الماء والماء بارد

ويكرر هذا الشاعر النهاص المعنى السابق ويؤكد عدم حب المهاجره لأصحاب الأموال الكثيرة فيقول:ـ

ياَ ساتر عَلِى رَكْبَ المهَاجرَه أَلْ لَفُّوا
وُيَلْقُوا الخَتوه فى مَال البُدان يَسُّفُّوا
يَسوقُّوا أُم دَا نقس الرِّيشه الْهَبوُب بزِّفُّو
وُيصبح سِيدَه يَخْمِشْ فى التُّراب وُبسفُّو

شرح المفردات:

١ ـ الركب: الجماعة من الناس على ظهور الجمال.
٢ ـ الختوه: التوفيق ٣ ـ البدان: الأغنياء.
٤ ـ أم دانقس: الناقة السمينة ٥ ـ برفو: نتلاعب به.

يسأل الله أن يعطف على ذلك الركب من المهاجرة الذين ركبوا جمالهم بحثاً وراء الابل لسرقتها لكى ينتقموا لأنفسهم والفقراء من إخوانهم ويجعلوا أصحاب تلك النياق السمينة التى تتلاعب الرياح بأوبارها من

شدة شحمها يسفون التراب أسفاً وندماً على فراقها.

بالرغم من هذه النـزعـة الشريرة الا اننا نجد المهاجره لا يفضلون السرقة من قبائلهم وجيرانهم ولكن، هذا لا يمنع من وجود بعض الشواذ الذين لا يرعون حقوق الجار والقبيلة، كما سبق وقلنا فنجد هذا النوع مكروهاً فى اوساط «المهاجرة» حيث يعتبرونهم عالة على مجتمعاتهم ومسيئاً لسمعتهم لانهم جبناء لا يبذلون كثير عناء فى سرقاتهم.

كَـم شَقِّـيـتْ غُرْبَـةً فيـهـا بَقَـلِّبْ لُونِـى
وُكَـمِّ بَاريـتْ جَنِـيـنـاً فى الخَـلاَ بشُـورُونِـى
رِدِّى بَبِـعْـدُوا أصْحَـابْ سَاحْتِى مَا بْرِبِبُـونى
كُرَاعِـي تَقِيـلَه بَحـرِتْ كَفِّـى شَنْ لِحْـقـونـى

شرح المفردات:-

(١) بقلب لونى: يغير هيئته ويتنكر.
(٢) باريت: سافرت مع، صادقت.
(٣) جنيناً: فتياناً.
(٤) بشورونى: يسمعون نصائحى ألتى إقدمها لهم.
(٥) كراعى: قدمى «يعنى الثبات»
(٦) بحرت كفى: يريد أن يقول أنه لا يهرب من الذى يلحق به بل يحاربه بشراسة.

عندما يريد المهاجرى أن يسرق إبلاً من آخر يكتم الأمر كثيراً فلا تعرف نياته ومقاصده. فيبدأ فى تغيير هيئته حتى لا يعرفه أحد وقد يخبر بأنه ذاهب الى مكان آخر غير ذلك الذى يقصده حقيقة.

يقـول انه لا يسرق من مكان قريب او من جيرانه، بل يسافر بعيداً ليسرق جمال القبائل الآخرى واذا وقع فى أيدى اصحاب الابل المسروقة فأنه لا يخافهم وأنما يقف بصلابة ضدهم ولأنه شجاع وقوى فلا يهاب الضرب والحرب ولا تعرف أقدامه الفرار امام الاعداء.

ويحدثنا «هذا المهاجرى» عن اهمية الزعامة فى مهنة السرقة (كم باريت جنيناً فى الخلا بشورونى) فهو دائماً يختار اصدقاءه من الذين يطيعون أوامره بل ينفذون كل ما يأمرهم به، لأن الخلاف يؤدى إلى أشياء لا تحمد عقباها فأن كان المهاجره اليوم يختارون من أوساطهم زعيماً وقائداً ينظم سير العمل ويكون خبيراً بمسالك الصحراء ودروبها. فقد كانت هذه الزعامة موجودة عند شعراء الصعاليك فلنقرأ لهذا الصعلوك ينذر أعداءه ويتوعدهم بأنه سوف يغزوهم برفاقه الذين لا يهابون الموت.

فان أثـقـفـتـمـونـى فأقـتـلونـى وان أثـقـف فسـوف ترون بالى
فأبـرح غـازيـاً اهـدى رعـيـلاً اوْم سـواد طـود ذى نجـال
ويـبـرح واحـد واثـنـان صحـبـى ويـومـاً فى أضـامـيـم الرجـال
بفـتـيـان عمـارط من هـزيـل هم يـنـفـون أنـاس الحـلال
وأبـرح فى طـوال الدهـر حتـى أقـيـم نسـاء بجلة بالنـعـال

يكثر نشاط المهاجرة غالباً فى الفترة التى تسبق فصل الخريف بقليل «الرشاش». ففى هذه الفترة بالذات تشتد الرياح والعواصف التى تهب على سهل البطانة من جهة الجنوب وهى رياح ضارية مليئة بالأتربة، هذه الرياح تساعد على أخفاء آثار الابل المسروقة، ففى هذا الوقت بالذات تكون المراعى قرب الدمر قد شحت فتهرب الابل من أصحابها فى جماعات باحثة عن اماكن العشب الشىء الذى يسهل على «المهاجرة» إقتناصها وسرقتها بعيداً عن اعين اصحابها.

هذا مهاجرى هبت عليه تلك الرياح فنادى زميله فى المهنة المسمى «ود التكيت» قائلاً:ـ

يَاوَدْ التّـكِّـيـتْ طَلَقَـنْ هَبَـايـبْ جَبْـرَهْ
وُسـيـدْ أم قُجَّـه مِنْ الرَّادى خَانْقَـه الْعَبْـرَهْ
الشَّـايـلْ فريـريـرُو وُمِـقَـوِّى الْكبْـرَهْ
بِنْـشَـهِـيـهُ سُوقْ ستْ السَّرَا الْمُـتَـبْـرَهْ

شرح المفرادات:

١ ـ ود التكيت: صديق الشاعر
٢ ـ هبايب جبره: الرياح التى تهب فى بداية الخريف من جهة الجنوب.
٣ ـ الرادى: اسم جمله كناية لسرعته.
٤ ـ فريريرو: تصغير لكلمة «فرار» ويعنى بها الفأس.
٥ ـ ست السرا: الناقة السمينة، والسرا هى السرأة «لحم الظهر بالقرب من الاضلاع».

يخاطب زميله «ود التكيت» ويذكره بأن وقت السرقة قد حان لأن الرياح الجنـوبيـة بدأت تهب فى ضراوة مبشرة بقـرب فصـل الخريف، ويؤكد لصديقه أن تلك الابل السمينة والتى أعتاد صاحبها ان يحفظها داخل «الزرائب» خوفاً عليها من الحيوانات المفترسة واللصوص سوف نسرقها جميعـاً وسوف يلقن جمله «الرادى» صاحبهـا درسـاً لا ينساه فكلمة «الرادى» كنـاية لسرعة هذا الجمل وأصالته، كما برزت أيضاً الصورة الساخرة التى رسمها لصاحب الابل «الشايل فريريرو » ولكنه عمد من التصغير إلى التقليل من قيمة الشخص نفسه.

التاجر العادى عندما يضع رأس ماله فى تجارة ما يكون شديد الحرص على العائد الذى يجنيه من وراء ذلك مع حرصه على رأس المال ذاته ولكننا نجد المهاجرى أكثر قناعة فلا يهتم بارتفاع وإنخفاض أسعار الابل التى يسرقهـا، ويـرجـع ذلك فى الغالب الى شعوره بقلة الجهد الذى بذله فى الاستيلاء على هذه الابل وهذا هو الارجح خوفه من ان يلحق به اصحابها، إذا هو تباطأ فى بيعها فيعمل على التخلص منها بأسرع فرصة وبأى ثمن.

يقول عبد المنان عبد الماجد ابو ناجمة الملقب «بود الشيخ» وهو مهاجرى شهير.

أَبْ قَنَـفْ اللَّفَـجْ كُوعُـو وَسَمـحْ تَضْرِيـعُـو
عَسْرَاتِ اللَّكَـبْ حَىْ الشِّقُـوقْ بِتْـرِيـعُـو
كُلْ عَامْـراً مَراجـى السُّوق بفـك تَقْـرِيعُـوا
نحِـنَ قَرَانَـارَىْ مَا يَتَّـفِـق بِنْـبِـيعُـو

شرح المفردات:

١ ـ اب قنف: الجمل الطويل
٢ ـ اللفج كوعو: بعيد الارجل عن زوره.
٣ ـ التضريع: المشى السريع.
٤ ـ عسرات: رجل الجمل الأمامية
٥ ـ اللكب: عالى المؤخرة منخفض الصدر.
٦ ـ القران: مجموعة من الابل تربط رقابها سوياً.

يصف لنا جمله بأنه طويل وسريع تتباعد أرجله الأمامية عن زوره دلالة على قوته وأصالته وسرعته الفائقة، فتخيف وتريع هذه الأرجل ما بداخل شقوق الارض من هوام وجمله هذا السريع وهو على ظهره سوف يكون سبباً فى حرمان صاحب الابل من بيعها والاستفادة منها وإنه لا يهتم بالثمن والسعر الذى يبيع به هذه الابل فهو يبيعها كما «يتفق».

يتحدث المهاجرة فى أشعارهم عن فرارهم وهروبهم من الأعداء وهم بذلك لا يشعرون بأدنى عيب أو عار.

يقول ود الشيخ نفسه:ـ

عَقَبْ الدِّنْدرْ الَغيبَه وَمنوِّى شرُوقْ
وُرَكزْ العُقّبُ حُرَ فوقْ جدْ أبُو البَرْقُوقْ
يَا الخَليتْ الوَرَاكْ سَافْ الوَطَى وُمَحَرُوقْ
كَبْ آخر إِيدَكْ يَا الحُورى الجَلَبْ مَسرُوقْ

شرح المفردات:

(١) العقب حر: نسبة معروف.
(٢) البرقوق: اسم جمل
(٣) الحورى: صفة لجمله.
(٤) الجلب: الابل التى يراد بيعها.

يقول أنه عقب نهر الدندر عند مغيب الشمس وهو متجه شرقاً وهو على ظهر جمله الحر الذى ينسب إلى «البرقوق» جده المشهور وكان يسوق أمامه عدداً لا يستهان به من الابل، قد ترك أصحابها محروقى الوجدان ويطلب من جمله أن يسرع الخطى لأن تلك الابل مسروقة ولا بد من بيعها سريعاً.

أعتاد صعاليك العرب القدامى الفرار من وجه أعدائهم وكثرت احاديث فرارهم وهروبهم فى كثير من اشعارهم فلا غرابة فى ذلك فالفرار من وجه الأعداء يتيح لهم الفرصة مرة أخرى لتحقيق اهدافهم واغراضهم الاجتماعية والاقتصادية ولا يعتبر الفرار فى شريعتهم جبناً ولا خوفاً من الأعداء.

يقول تأبط شراً:ـ

ولم انتظر أن يدهمونى كأنهم ... ورائى نحل فى الخلية واكناً
ولا أن تصيب النافذات مقاتلى ... ولم أك بالشد الذليق مداينا
فأرسلت مثنياً عن الشر عاطفاً ... وقلت تزحزح لا تكونن خائناً
وحثحثت مشعوف النجاة كأننى ... هجف رأى قصراً سمالاً وداجناً

ويقول أبو خراش الهذلى:ـ

وان تزعمى أنى جبنت فاننى ... أفر وأرمى مرة كل ذلك
أقاتل حتى لا ارى لى مقاتلاً ... وانجو اذا ما خفت بعض المهالك

أنظر إلى هذه الابيات وقارن بينها وبين رباعية «ود الشيخ» السابقة فانك لا شك واجد تشابهاً واضحاً فى أحاديث الفرار والهرب من وجه

الأعداء بين أفراد الطائفتين طائفة الصعاليك الأولى وطائفة المهاجرة الحالية.

لا يسلم أصحاب الابل من أحقاد المهاجره وإنتقاماتهم السريعة إذا لجأوا لأخذ حقوقهم منهم بواسطة العدالة والمحاكم،
اقرأ لهذا المهاجرى يتوعد احد ملاك الابل بعد ان تسبب فى سجنه :ـ

اللَّيلَه السِّجنْ جَابْلوُ انكِتَامَه وُحَرِّه
وُنِحْنَ جَرا رِقُو يَا سَاتِرْ عَلِى نَاسْ بَرَّه
الوَلَد البعْشيها وَيَتنَّى الْجَرَّه
يِخبِر لِى مُرَاح حَسَبَ الله وِين مَا فَرَّه

يقول هذا المهاجرى ان السجن فقد الهواء الطلق واشتدت حرارته ولكن هذا ليس بالشىء المهم لأنه أعتاد عليه من قبل، ولكن الويل للذين هم خارج الأسوار «يعنى الذين قدموه للمحاكمة» ويخاطب زملاءه من المهاجره والذين هم خارج أسوار السجن، أن يتأكدوا ويخبروه عن مكان وجود ابل «المدعو حسب الله» لكى يعد العدة لسرقتها بمجرد خروجه من السجن.

اذا كنا نعتقد ان سرقة الابل عيب وعار على فاعلها فنظرة المهاجرة مغايرة لهذا كثيراً، فهم لا يرون فيها عيباً او عاراً بل يعتبرونها منتهى الرجولة والشجاعة، هذا سليمان ادريس على الضو الكمالابى يقول :ـ

مَانى الخَايبْ الدَّايماً بَقُولْ سَوِّيت
وَمَا نَهَرُونى عنْ سَاعَة السّؤالْ قَرَّيت
إن بَرَدَن قُروش مَانِى البَخيل صَرِّيت
وَإن حَرَّن بُكَار ما هِن صَفَائِح زِيت

شرح المفردات :ـ

١ ـ مانى : لست ٢ ـ سويت : فعلت
٣ ـ قريت : أعترفت ٤ ـ بردت : أصبحت ملكاً له
٥ ـ البكار : مفردها بكرة وهى الحقة من الابل.

يقول انه ليس من الحقارة والتفاهة بحيث يقول فعلت كذا وكذا فهو لشجاعته لا يعترف أمام رجال العدالة مهما نهروه أو ضغطوا عليه

للاعتراف. وأن الابل التى يسرقها إذا باعها وأصبحت قروشاً فهو لا يبخل على الآخرين ولا يكدس تلك الأموال اما إذا قبض عليه فانه لا يشعر بعار ولا يؤنبه ضميره، ذلك لأنه لم يسرق شيئاً حقيراً مثل «صفائح الزيت» وإنما هى إبل وليست سرقتها بالشىء السهل لكل من هب ودب.

وهذا آخر يحدثنا بأن كسب الرزق عنوة أفضل بكثير من حياة الذل والهوان.

مَصْـرُوف الْبَـنَـاتْ وَالكـيلَـةْ
فُوقَكْ يَا هَجِـينْ الرَّدفـولُو التِّـيلَةْ
عيـشَـةْ الْقُـوَى أحْـسَـن لِيـنَـا مَاهَـا ذَليـلَةْ
مَا بِتَـدَرِيَـكْ ال مِنْ اللهْ جَايَّـه نَزِيلَةْ

شرح المفردات:

١ - الكيلة: المصاريف والغذاء.
٢ - الردفولو التيلة: كثرة عدد العقود على عنق الفتاة.
٣ - نزيلة: مقدرة.

يقـول مخاطباً جمله بأن يستعد لتحقيق رغبات فتاته الجميلة التى يحبها تلك التى تزين عنقها بالذهب والخرز النادر فهو لا يستطيع تحقيق مطالبها إلا عن طريق سرقة الابل. ثم يقول إن عيشة القوة خير له من أن يعيش ذليلاً حقيراً فلا داعى للخوف ما دام للانسان اجل محتوم.

ومن المهاجرة من دفعه الفقر مضطراً لممارسة هذه المهنة وهو غير مقتنع بمبادئها.

دَردَرنِـى الْفَـقُـر لامِـن بقيـت شنكيـت
وَدَّنـى اَلْغَـبَـائِنْ لى جبـالْ فرْتَـيتْ
أمَّـا جِبْـتَ مَالاً فَرَّحْ أمْ سُومَـيتْ
وَأمَّـا فُوقْ جِبـالْ تَقَـلِى انْجَـدَعْ مَا جِيـتْ

شرح المفردات:

١ - دردرنى الفقر: أشقانى الفقر ٢ - الغبائن: الغبن
٢ - شنكيت: كبير ٤ - أم سوميت: يعنى بها محبوبته

يقول ان الفقر قد أتعبه كثيراً وأن الغبن جعله يترك دياره ويذهب بعيداً طالباً للمال والكسب فهو أما أن يكسب مالاً وفيراً ترضى به محبوبته ويحسن به أوضاعه الاقتصادية السيئة، واما مات وهو بعيد عن أهله وعشيرته فى جهأت جبال «تقلى» وكأنه بذلك يجارى عروة بن الورد فى قوله :ـ

فسر فى بلاد الله والتمس الغنى
تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

أو قوله :ـ

ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا
من المال يطرح نفسه كل مطرح

نجد المهاجرة يأنفون عن القيام ببعض المهن مثل الرعى والزراعة والخدمة داخل المنازل ففى نظرهم أن مثل هذه المهن لا يقوم بها إلا النساء وضعفاء الرجال.

يقول أمير «المهاجره» ود ضحويه :ـ

مَانى التَّمَّبَّلْ الْ فى البيت شُغُلْتُو حَليب
بدوُرْ الشَّدَّه فُوق إبِلاً شَوافى وُنيب
إن حَرَّنْ مِنْخُتْ الشُّكْرَه مَا بنْعِيبْ
وان بردن بِنْكَافِيبن سوالف أُمْ طيبْ

يقول ود ضحوية انه ليس مثل ذلك الرجل الحقير والذى يقضى ايامه كلها فى رعى الأغنام وحلبها. فهو رجل شجاع يركب دائماً على ظهور الابل القوية لينهب بها ابل الآخرين، وهذه الابل التى يسلبها وينهبها إذا لحق بها أصحابها فى الخلاء سوف يحاربهم حرباً لا هوادة فيها، ولا يمكن أن يفعل شيئاً يجلب عليه العار مستقبلاً. وإذا اصبحت تلك الابل من نصيبه فسوف ينفق أرباحها على تلك المحبوبة التى أحسنت اليهم كثيراً.

أنظر إلى قول أمير المهاجره «مانى التمبل فى البيت شغلتى حليب»، وقارن بينه وبين قول هذا الصعلوك :ـ

ولست براعى ثلة قام وسطها
طويل العصا عرنيق ضحل

أعتاد بعض المهاجره السرقة من أماكن خاصة ومن قبائل معينة ويرجع ذلك للاحقاد والضغائن التى تنشب بين قبيلة وأخرى.

هذا أحدهم ينــذر ويتــوعد بأنه سوف يسرق ابل قبيلة تقطن جبل كسمور فى جنوب سهل البطانة.

مَسَارِيّاً عَلى كَسَـمُـور بِجَـنْ قُطَّاعْ
مَرَادِيـفْ كُلهـنْ مِنْ اَلصَّـعَـب لِلطَّاعْ
قَامُولِن جَنيـنَـا فى الطلَقْ بُتـاَّعْ
بِكـاَفوبِـنْ سَوَالَفْ اَلعَـقْـربِـنْ لَطَّاعْ

شرح المفردات:ـ

(١) مراديف: سمينة.
(٢) الطائع: هو الجمل الأليف عكس الصعب
(٣) لطاع: لاسع.

يقـول ان الإبـل السمينة بدأت تظهر فى مجموعات صغيرة ومتفرقة بالقرب من جبل كسمور، وهذه الإبل كلها سمينة ترادف شحمها ولحمها وقد قام لسرقتها شبان أقوياء مدربون على السرقة وهو يعنى بهذا نفسه وأصحابه. ويؤكد أنهم سوف يصرفون ما تدره من أموال عليهم على تلك الفتاة التى شغفوا بحبها وغرامها فهم لا ينسون ما قدمته لهم من خدمات جليلة.

ولكن أحد شعراء «كسمور» وهو فيما يبدو صاحب ابل رد عليه متوعداً:

الدَّشر المِـسَارى وادْرتَـتْ عَطَافْتَـو
اسْتـامَـنْ خَلاصْ من القُـران وُمَـخَـافْتـُو
الدَّايـرْ فُرَاقْ مرتُـو وُتْـريِّـم طَافْـتُـو
اَل يَمرق على كَسَـمُـور بخَـرْبُـوا قيـافْـتُـو

شرح المفْردات ـ

١/ الدشر يعنى بها الإبل.
٢/ ادرتت رجعت إلى أماكن الدمر.
٣/ عطافتو: جمع عطفة وهى الهودج.
٤/ الطافة كيس من الجلد محشو بالصوف يوضع بين ظهر البعير والسرج

يرد عليه صاحب الإبل فيقول أن الابل التى تشير اليها وتريد سرقتها فى مأمن ودونك وإياها السماء، فقد رجع بها أهلها وهى سمينة الى أماكن دمرهم، كما أنهم شديدو الحرص عليها، فإذا أردت أن ترمل زوجتك وتيتم أولادك وتحضن كالمرأة «طافة» بعيرك فأذهب إلى جبل كسمور وهناك سوف تلقى حتفك لاشك.

وكما ذكرنا سابقاً أنه يوجد فى أوساط المهاجرة صنف دخيل على هذه المهنة يتصف بالجبن ويلجأ فى سرقاته إلى الغدر والمباغته فهو عندما يقبض عليه أصحاب الإبل فى الخلاء بعيداً عن الناس، يمثلون به أبشع تمثيل، حيث يجلدونه بالسياط ويأمرونه أن يرقص كالمرأة أو يروم «طافة» بعيره أى يحتضنها كما تحتضن الأم صغيرها فى حنان، فالرقص والارامة صفتان أختصت بهما المرأة وعندما يفعل مثل هذه الأفعال يكون قد أنسلخ من زمرة النهاضين بالتالى يضمن أصحاب الإبل أنه لن يعاود السرقة مرة أخرى.

انذار آخر من صاحب الابل:

الوَلَدْ البْدور قَطَعْ الْكْراعْ والرأس
بَرضُو ألْ يَبْقى لى طوالْ النديبْ قناصْ
جَنباً إنْ سَجبُوكْ فى صَىْ بى قَراصْ
جَنباً إنْ رَقصُوكْ وأسامَعُوبَ الناس

يرد صاحب الإبل على ذلك «المهاجرى» ويقول له إذا أردت أن يقطع رأسك وأرجلك فى وقت واحد. فكن دائماً قناصاً وسارقاً لإبل الآخرين فسوف تقع وقعة سوداء وتعانى أحد الأمرين. أما أن يمزق جسمك بسيف حاد وترمى جثتك فى الخلاء، وأما ان تجلد بالسياط ويجعلك أصحاب الابل ترقص أمامهم كالمرأة. وهذا منتهى العار خاصة اذا انتشر الخبر وعم البادية والادهى والامر ان تسمع محبوبتك بذلك.

ان أدب المهاجره والنهاضين لكثير جداً يحتاج لدراسة متخصصة إذ أن فيه الكثير من الموضوعات الجيدة ولم نقصد من إيرادنا لهذه المقطوعات السابقة الحديث بأسهاب وتفصيل عن هذا الموضوع وإنما هى نماذج فقط لشعر نادر يتعلق بموضوع غريب على المجتمع السودانى.

شغبه
أميرة شعراء البطانة

لا يملك المرء إلا أن يحترم هذه المرأة الفنانة العظيمة، التى نصبت من نفسها أميرة على قومها، فى وقت كان فيه أبطال قبيلتها من الكثرة بحيث لا تحصيهم ذاكرتها، والتى يدل شعرها دلالة كبيرة على مدى عظمتها وقوة شكيمتها.

تنتمى شغبه إلى قبيلة الكواهله فرع الشدايده، وقد تزوج بها أحد أفراد قبيلة المرغماب والتى هى فرع من فروع الكواهله العديدة ويسمى زوجها «ود قلش» كما تزوجت شقيقتها «علابه» من أحد أفراد قبيلة البطاحين وولدت الشيخ برير احد فرسان البطاحين وكان قوى الشكيمة صلب العود وكأنما قد قلبه من حجر ولابن أُختها هذا دور فعال فى تاريخ حياة شغبه وأثر تأثيراً واضحاً، سنراه فيما بعد ولقد ذكرناه هنا مسبقاً ليكون معروفاً لدى القارىء.

لقد كتب البعض عن شغبه ولكنهم لم يصيبوا كبد الحقيقة، وحتى لا نقع فى ذات الخطأ فقد استقينا معلوماتنا من السادة المذكورين أدناه وهم من قبيلة الكمالاب:ـ

١/ الشيخ أحمد على كرف ـ من كبار رجالات القبيلة
٢/ الشيخ أحمد عوض الكريم ـ شيخ قبيلة الكمالاب
٣/ حسن النور على ـ من زعماء القبيلة

وكذلك كل من السادة افراد قبيلة المرغماب وهم:

١/ سر الختم عبد القادر ـ من زعماء القبيلة
٢/ عبد الله حمد شورانى ـ شيخ القبيلة وشاعرها
٣/ سليمان على سليمان ـ من كبار رجالات القبيلة

ولعل إرتباط شغبه الوطيد بزوجها ود دقلش لحبها له وحبه لها هو الذى جعلها ترتبط إرتباطاً رائعاً جسداً وروحاً بقبيلة المرغماب، وتقصر إلى حد بعيد مدحها عليهم وفخرها بهم وحدهم، دون القبائل الأخرى حتى قبيلتها التى انحدرت منها. وكانت شخصية شغبه قوية لدرجة بعيدة، فيها سمات رجولة ظاهرة ولم تكن كالنساء فى لطفهن، بل كانت شعلة من النشاط

والحيوية والشجاعة والذكاء والإقدام، ولم تأبه لشيء حتى ألفاظها كانت

وكانت شغبه مثيرة للحروب بين القبائل، فبيت من شعرها يفعل فعل السيف البتار، أن كان موجهاً ضد عدو هد كيانه، وان كان لفرسان قبيلتها أشعل فيهم الغيرة والحماسة ولعل أقسى معركة حدثت لها هى تلك المعركة الطاحنة التى دارت بين قبيلة البطاحين وقبيلة المرغماب، تلك المعركة التى أدت الى سفك الكثير من دماء الشبان والشيوخ.

وفى هذه المعركة هجم الشيخ برير بن أختها «علابة» يقود فرسان البطاحين الأقوياء على قبيلة المرغماب، وهزمهم شر هزيمة، حيث قتل فى هذه المعركة زوج شغبه ود قلش وابن لها يدعى نائل وسقطت جثة زوجها أمام ناظريها، فملأ الغضب صدرها وأكلت الحسرة روحها، وكانت المعركة ضارية قوية ثبت لها الفرسان من الجانبين وكانت شغبه تقف مشجعة لفرسان قومها، ولكنها عندما رأت زوجها يسقط من فرسه حز الألم فى نفسها فقالت:

كُرْ يَا نُوحْ مِنْ دَا الخْـرَابْ
عَجَبْ عينىْ تأكُل فِيهُ الكلابْ
وَدْ دقْلشْ مَيَّحْ مِنْ الرِّكَابْ
أخَير دَامِنْ قُولَةْ جَفَلُوا المُرغمابْ

شرح المفردات:ـ

١/ كر: لفظ تقوله النساء للإستنكار عند سماعهن أو رؤيتهن لموقف رهيب

٢/ يانوح: تستنجد بسيدنا نوح عليه السلام.

٣/ عجب عينى: قرة عينى تعنى بها إبنها

٤/ ود دقلش: زوجها

٥/ ميح: فقد توازنه على متن الفرس

٦/ من الركاب: من ركاب فرسه أو سرجه أو ظهر فرسه

٧/ أخير دا: هذا خير

٨/ جفلوا: هربوا وتركوا المعركة

تقول شغبه إن قرة عينها وتعنى به إبنها أصبح جثة هامدة تنهش الكلاب لحمه، أما زوجها ود دقلش فقد فقد توازنه على متن فرسه الذى هرب به وهو ميت على ظهره وشغبه تشاهد هذا المنظر المؤلم المحزن إلاأنهـا ظلت قوية ثابتة القلب فموت زوجها وإبنها أفضل عندها بكثير من أن يقال ان أفراد قبيلتها قد هربوا من ميدان المعركة. وتصور لنا شغبه فى هذه الأبيات مدى شجاعة زوجها وفرسان قبيلتها وتصف فى ألم كيف ثبتوا للحرب بكل ما يملكون من قوة حتى صرعهم الأعداء وصرعوا هم منهم من صرعوا.

يقال والعهدة على الرواة أن البيت الأول من هذه القصيدة قالته أمرأة أخرى كانت تنافس شغبه فى الزعامة، ويعلل الرواة قولهم هذا بأن شغبه لا يمكن أن تقـول «كر» لانها كلمة خاصة بالنساء ودليل على الضعف والخنوع، وكما أسلفنا سابقاً أن شغبه ليست كعامة النساء وأن كانت كذلك لما خلد التاريخ إسمها حتى الآن. ولما استطاعت أن تقود الجيش وتتزعم الرجال ولكن ما أن قالت المرأة البيت الأول حتى أكملت شغبه بقية الأبيات لتثبت مدى قوتها وجبروتها.

وتنتهى المعركة بما أنتهت به، والآلام تأكل قلب شغبه وترى الوادى «عديد نوير» أغبر وعمه الخراب ولكنها قادرة على إعادة كرامتها وكرامته له، فنظرت اليه وقالت:

يَقِّنْ لِى خَرَابَكْ يَا عِدِيدْ نِويرْ
رَاحَوا النَايِرِينْ فضْلُوُا الْبمَاسْحُو الكَيلْ
وَدْ دِقلش يَكفِيِّ لِى هَوَايدَ اللَّيلْ
وَدْ نَوَّاى كتلْ فَارْسَ التَّقِيله أمْ جِيلْ
شَغَبَه وِينْ تَقَبِّلْ بِى كَبيرَةَ الضَّيلْ

شرح المفردات:ـ

١/ يقن: اصبر تيقن
٢/ عديد نوير: العد وهو مورد المياه وعديد نوير هو مكان الماء الذى ترد اليه الابل ولعلها كانت تنزل به مع قومها.
٣/ النايرين: ذو الوجوه البيضاء الشجعان.
٤/ البماسحوا الكيل: المترددون
٥/ هوايد الليل: آخر الليل دليل على كرمه أى أنه يستقبل ضيوفه لوقت متأخر من الليل.

٦/ ود نواى: احد فرسان القبيلة
٧/ وين تقبل: أين تذهب
٨/ كبيرة الضيل: ناقتها كبيرة الضرع الوفير باللبن.

تحادث شغبه فى الأبيات السابقة مورد المياه، وتطلب منه أن يرضى بما آل اليـه حالـه فقد أصابه الخراب لأن الفرسان الذين كانوا يحمونه من الأعـداء قد ماتـوا وذهبوا، وبقى من القبيلة المترددون الذين ليست لهم الشجـاعـة ولا المقـدرة لرد كرامتـه التى سلبها أياه فرسان البطاحين وزوجها الذى كان يستقبل الضيوف قد مات وكذلك ود نواى الفارس الذى تعتمد عليه القبيلة، فأين تذهب شغبه آمنه بنياقها ذات الضرع الكبير؟

تريد شغبه بهذا أن تلهب مشاعر رجال قبيلتها وتحثهم على أخذ ثأرهم من قبيلة البطاحين وتتذكر زوجها وحاميها ود نواى فارس التقيلة أم حيل وتفعل كلمات شغبه فعلها فتثير الحماس فى قلوب من تبقى من فرسان قومها. وقد حدث أن «حمد المليحابى» وهو احد فرسان المرغماب آلمه ان تنتهى قبيلتـه مثـل تلك النهـايـة المفجعة فشد رحاله بعد تلك المعركة الضروس الى قبيلة الامـرار التى كانت تسكن فى مكان يقال له «الباك» وطلب منهم أن يساعدوه فى أخذ الثأر من قبيلة البطاحين، وتقول الرواية ان حمد المليحابى مكث فى ديار الامرأر عامين لجمع الفرسان والشبان استعداداً لليوم الموعود،وقد جمع كما يقول الرواة سبعة آلاف فارس من شبان الأمرار الأقوياء وقد إشترط فيهم أن يكونوا من شاربى التمباك لأن شارب التمباك يكون أشد ضراوة فى قتاله من ذلك الذى لا يتعاطاه.

و عاد المليحـابى بذلك الجيش العـرمـرم لنصرة قبيلتـه التى أخـذ البطاحين عزتها وثروتها ومرغوا كرامتها بالأرض واستطاع حمد المليحابى أن يعقد لواء النصر لقبيلته، وفى هذه المعركة الضارية استطاع ان يهزم اعداءه هزيمة نكراء تحدثت عنها الاجيال، وقتل الكثيرين من فرسانهم وأخذ إبلهم ورجع بها وفى ركابه الشيخ برير حياً مأسوراً كما طلبت شغبه ان يأتوها به حياً لتأخذ ثأرها بيدها، وقد حقق لها حمد المليحابى تلك الرغبة، وهذا يدل دلالة واضحة على مدى عظمتها فى قومها وتأثيرها عليهم.

وبالرغم من ألم شغبه وحسرتها على فقد زوجها وولدها وخيرة شبابها وفرسان قبيلتها فى هذه المعركة الطاحنة، إلا أن شغبه الشجاعة لم تتنكر لشجـاعـة أعـدائهـا «العركشاب» الذين صمدوا صموداً فاق تصورها

تصفهم فى نفس الوقت الذى تصب فيه جام غضبها وإحتقارها مخلوطاً بإعجابها بهم فتقول:

دُبْ الْعـرْكـشَـابْ وكْـتـاً يَلوُكـوا الْمـكْرْ
تَدبِـتْ لَلكـتـالْ متـلْ اَلْكُـبَـاشْ الغُـرْ
يدعْـكُـوَا عَلِى الصَّـفْ الدّمـيـهُ تَخُرْ
ويـصْـف لُونٌّ مِتـلْ دَهَـبْ الجْـمـارْ الَحـرُ

شرح المفردات :ـ

١/ دب: اسم فعل أمر بمعنى «أخسأ» وآخرون يقولون «تب» بدل دب.
٢/ تدبت: تثبت ٣/ الكتال: القتال.
٤/ الكباش الغر: تعنى الكبش الذى فى جبهته غرة بيضاء.

تقول شغبه:

أن فرسـان العـركشاب عندما يدخلون المعركة فانهم فى صدامهم يستبسلون ولا يتراجعون أبداً، وهذه دلالة على أن فرسان قبيلتها هى قد ثبتوا فى المعركة، وكل من الطرفين لا يترك مكانه حتى يهزم الطرف الآخر.

وتسترسل فى وصف العركشاب أعدائها فتقول انهم حتى فى ساعات الوغى يتسابقون على صفوف القتال كل يريد أن يسبق الآخر نحو العدو ولعل أجمل وأعظم مواقفهم، أنهم حتى فى تلك الساعات الرهيبة لا يظهر الخوف على وجوههم بل تبقى صافية كالذهب لا يغيرها وجل القتال ولا صليل السيوف ولا جداول الدماء النازفة

والعركشاب فرع من فروع البطاحين أشتهر أفراده بالكرم والشهامة كما عرفوا بضراوتهم فى القتال وإستبسالهم فى المعارك. وليس هذا معناه أن العركشاب قد دخلوا المعركة وحدهم ضد قبيلة المرغماب فقد إشتركت الفروع الأخرى فى هذه الحرب خاصة فروع العسافاب والعبادلة والعلاماب.

عنـدما رأت شغبه فرسان قبيلتها مع فرسان الأمرار يتقدمهم حمد المليحابى جادت قريحتها بهذه الأبيات التى خلدت معركة النصر الى الأبد فقالت:

حَمَـدْ الْمـلـيـحـابى سَدَرْ لـلـبـاكْ
وسَـنـتـيـنْ بدُولبْ فى البشْرْبُـو التـمـبُـاكْ
كَتـلْ الشـيـخْ بريـرْ وُحَـرقْ حَشَـا الدعَـاكْ
وُجَـابْ الْ فِى اَلصّـفـيـه رقـهـنْ بِتْـراك

شرح المفردات:ـ

١/ سادر للباك: ذهب إلى الباك وهو أسم المكان الذى كانت تسكنه قبيلة الامرأر.
٢/ كتل: قتل
٣/ حشا: قلب أو احشاء
٤/ الدعاك: رضيع الناقة
٥/ بتراك: يلمع

تذكر شغبه كيف أن حمد الليميحابى ذهب الى الأمرار فى الباك، وكيف أنه مكث معهم سنتين كاملتين يجمع صفوفهم ويختار منهم الأقوياء قساة القلب. ثم جاء بهم وأستطاع بذلك الجيش القوى أن يأسر زعيم البطاحين الشيخ برير، والذى سبق أن اذاقهم الويل فأخذ ممتلكاتهم بعد أن قتل من قتل وكان قاسى القلب فأخذ نياقهم الوالدة وترك صغارها تتوجع من الجوع والحنين لأمهاتها، ولكن المليحابى وفرسانه إستطاعوا أن يعيدوها ومعها إبل البطاحين المغلوبين على أمرهم ويقول الرواة أن حمد المليحابى بعد أن سلم شغبه الشيخ برير حياً ربطته من خلاف وأحضرت النقارة وأعدت لها العدة، والنقارة هى النحاس المعروف المغطى بجلد البقر أو الجمال تصدر صوتاً حزيناً رتيباً عندما يضرب عليها. وبدأت به فقطعت يديه وحملتهما والدم ينزف منهما وبدأت تدق بهما على النقارة فى وحشية متناهية وتغنى فى حقد ومرارة وتخاطب برير بقولها:

جيدْ يَابـَرِيـرْ الضُـقْـتَ النـَّكُـورْ وَالهَـولْ
وَكَسْرَ الهـَمـْبَروكْ عِيشْ السِّـديـره الخـُورْ
سُوقـَةْ الْحـَدَّمْ الْعَـقَـدَنْ قفـيـهـنْ شُولْ
كَتِـلَةَ الْبـرَمـكـى مَعَ صَبَـاحْ البـولْ

شرح المفردات:ـ

١/ جيد: الحمد لله
٢/ الضقت: ان ذقت
٣/ النكور: المصائب وتنكر الايام.
٤/ الهمبروك: الزرع الذى لم ينضج بعد
٥/ الحدم: تعنى بهذه الكلمة الإبل حديثة الولادة
٦/ العقدن: اللائى نظرن
٧/ قفيهن: رقابها

٨/ كتلة البرمكى: موت البرمكى تعنى به الرجل الكريم والمقصود به هنا زوجها.
٩/ صباح البول: تقصد به الصباح الباكر.

تخاطب برير قاتل زوجها فتقول له الحمد لله الذى أذاقك العذاب والمصائب التى فعلتها، فلقد قتل زوجها ونكل بقومها ولم يكتف بقتل خيرة رجالها بل ساق إبلها التى حطمت ذلك الزرع بأقدامها وهى تجرى أمامه. وهى حديثة الولادة وتركت صغارها خلفها وهى تحاول الرجوع إليها وذلك لانها لا تستطيع المشى مثل أمهاتها. لقد قتلت يابرير ونهبت فى ذلك الصباح المشئوم فخلفت الدمار والخراب، وأستمرت فى غنائها الجنائزى الرهيب تخاطب الشيخ برير ويداه الملطختان بالدماء فى يديها تدق بهما النقارة.

جيدْ يابْريْر ضُقتْ النكور إت حَىْ
وكسرَ الهمبروكْ عيشْ السِّديرة النَّىْ
سوقة إلحدمْ العقدَنْ قفيهنْ لىْ
كتلْه البَرْمَكى مَعَ صَبأح الضَّىْ

شرح المفردات:ـ

١/ ضقت: ذقت ٢/ وإت حى: وأنت حى

تقول شغبه وما زالت يدا الشيخ برير المقطوعتان واللتان ينزف منهما الدم تضرب بهما على النقارة، الحمد لله الذى اذاقك يابرير مثل ما جنته يداك من المنكرات فقد قتلت الزوج والابن وخربت الزرع ونهبت الضرع، فى ذلك الصباح المشئوم الذى قتلت فيه الكريم عند شروق الشمس. استمرت شغبه تقطع اعضاء ذلك المعتقل المسكين حتى مات، وتعرف هذه المعركة بمعركة «الدباغات» وهى حفائر مائية تقع شرق بلدة ابى دليق.
وكان برير يتمتع بشجاعة نادرة لم تستطع مديتها الحادة ان تؤثر فيه مما جعلها تمدحه فتقول:

وَد العز برير ضَرَب النّحاس ما بخاَف
وعندُو الدكَرى البيَاخُد تَلاتَه أخفَاف
حَالفْ بالطَلاقّ مَا يفُوتَ بَنَات عَسَّافّ
إلاّ الرّأسّ يَفَارِقْ الجِتّه وَ اللكتَاف

بعد هذه المعركة الضارية التى مات فيها فارس البطاحين بيد شغبه وأسر بواسطة المحاربين الاقوياء، قام ابن عم برير وكان يدعى «اللين» وهو احد فرسان البطاحين الاشداء وجمع قبائل جهينه والسدارنه ووعدهم بأنه اذا عقد له لواء النصر على المرغماب سوف يترك لهم كل الغنائم وله الثأر فقط، وقد أقسم اللين قبل المعركة بأنه سوف يأخذ نساء المرغماب سبايا.

سمع أهل شغبه بعزم اللين على غزوهم ولما كان الغزو يقصد به المال «الابل» فقد فكر أهل شغبه فى تغيير مكان رعى ابلهم حتى لا ينهبها اللين ومن معه، ولكن شغبه الشجاعة المتعطشة لملاقاة اللين قد اشارت الى اهلها ان يصمدوا صمود الفرسان.

جَمَلَ فى أم شَديدَه قَلدّوا وُهدو
وَالمالْ لَى مَسَاديرو القُدم ودوا
وَالطيرْ يَاَ سرَاحين الوجوه غَدوّ
وَ البجفلْ شناعَو للبنات ودوا

شرح المفردات:-

١/ قلدوا: حسنوه وأربطوا حول عنقه الزينه
٢/ هدوه: اجعلوه فحلا للنياق
٣/ المال: الابل
٤/ مساديرو القدم: مكان رعيها القديم
٥/ سراحين الوجوه: اصحاب الوجوه الخشنة
٦/ البجفل: الذى يهرب من المعركة

تقول لهم شغبه لا تخافوا بل اتركوا ابلكم فى مكان رعيها القديم واذا جاءكم هؤلاء الاعداء فنكلوا بهم وأشبعوا الطيور من لحمهم اما ذلك الذى يهرب من المعركة فحدثوا بخبره الفتيات وسوف يتناقلن خبره وفى هذا منتهى العار.

تجمعت قبائل جهينه والسدارنه بقيادة اللين ودارت معركة ضارية بين قبيلة شغبه والبطاحين فى مكان يسمى «شموم» حيث عقد لواء النصر فى المعركة للمرغماب مرة اخرى وقتل الفارس الجسور اللين وكان لشغبه دور عظيم فى هذه المعركة اذ طلبت من كل شبان قبيلتها ان يخلعوا امشاط شعرهم ويغرسوها فى مكان معين، حتى اذا هرب احدهم استطاع ان

شرح المفردات :ـ

١ ـ إتلمت : تجمعت ٢ ـ الزرق : سود اللون والوجوه الكالحة.
٣ ـ أرجوهن : أنتظرهم ٤ ـ الفرق : الشجعان.
٥ ـ كراسة برق : الحراب التى يلمع لونها لانها مزينة بسلوك الفضة.
٦ ـ عدوهن شموم طردوهم من شموم وهى حفير تقع فى سهل البطانة.
٧ ـ الحرق : الارض التى اصابها الحريق.

تقول شغبه :ـ

لقد تجمعت قبائل جهينة والسدارنة السود حيث انتظرهم فرسان الكواهله وتعنى بهم المرغماب الذين ينتمون الى قبيلة الكواهله، بثبات وشجاعة وطردوهم شر طردة من ذلك المكان المسمى شموم وهربوا هروب النعام وقتلوا اللين واشبعوه حرابا، كما قتلوا فرسان العركشاب من قبيلة اللين وجعلوا جثثهم مبعثرة على الارض التى اصابها الحريق.

اتْلمَّتْ جهينة وّطُرْطُرْ أمْ هبَّودْ
يَحْسبُوه كِتالْنَا بالْحَجَرْ والعُوْدْ
أرْجُوهنْ صَبَاحَاتْ الكَواهْله قُعُودْ
فُسْرَاعْ شَبَعُوا اللينّْ منْ الْمَتْرودْ

شرح المفردات :ـ

١ ـ اتلمت : تجمعت ٢ ـ طرطر ام هبود : تحقير لهم حيث تشبههم بالرماد.
٣ ـ كتالنا : قتالنا ٤ ـ ارجوهن : قابلوهم.
٥ ـ المترود : الحراب.

تقول شغبه ان جهينة تجمعت لحرب قبيلتها وفى ركابها تلك القبائل التى وصفتها بأنها رماد لا فائدة منها، وكانت جهينة والقبائل التى جاءت معها تظن اننا سوف نحاربهم بالحجارة والعصى ولكنهم وجدوا رجال الكواهله وفرسانها يحملون الحراب والسيوف القواطع وفى بضع ساعات استطاعوا ان يقتلوا فارسهم «اللين» ويشبعوه من تلك الحراب حتى لم يبق فى جسده مكان لاخرى.

وتقول شغبه :ـ

اليـومْ يَاجـهـيـنَـه حَدَّكُـنّ فُتَّـوهْ
وُسَـعيـتـولْكُنْ خيُـولْ دَرْبَ الّنـكُـورْ عُسْتـوُه
فَارْسَ السَّـبْعَـتيَنْ جيْـد اللُّقَـا ضُقْـتُـوه
كْوسُـولْكُـنْ سَبِـيبْ ضَنَبْ الْحُـصَـانْ اكْتُـوه

شرح المفردات:ـ

١ ـ حدكن: مكانكم ٢ ـ فتوه: تعديتم حدودكم.
٣ ـ سعيتو لكن: ربيتم لكم خيلا.
٤ ـ درب النكور عستوه: طريق البدع والفعل المشين سلكتموه.
٥ ـ كوسولكن: ابحثوا لكم عن. ٦ ـ اكتوه: اربطوه.

تخاطب جهينة وتقول لهم لقد تعديتم حدودكم المرسومة لكم وفعلتم ما لم يكن فى الحسبـان وما يدعو للاستغراب وما ليس من طبيعتكم لانكم اصبحتم اصحـاب خيول والخيل لا يمتلكها الا الشجعان الشىء الذى استغرب له. فأنتم لسـتم اهلا لذلك، ولكن الحمد لله الذى جعلكم ترون باعينكم فارسنـا فارس السبعتين وهـو احد فرسان المرغماب الاقوياء ويعرف باسم محمد ود احمد العامرابى.

ويقال ان محمد ود احمد جرى وراء احد فرسان جهينة ولما اوشك ان يلحق به ضربه بسيفه ولكن حصان ذلك الفارس كان اسرع فى الهرب من حصان محمد ود احمد فقطع ذيله بدلا من ان يقطع رأس ذلك الفارس الهارب، فتتهكم عليهم شغبه وتقول لهم ابحثوا لكم عن شعر لتربطوا به ذيل ذلك الفرس حتى لا يراه الناس فيعرفوا انكم هربتم من المعركة، وفى هذا منتهى العـار على الاعداء ودليل قاطع على انهم هربوا من فرسان قبيلتها خوفا على ارواحهم.

شَغبه وولدها حسين:ـ

يحكى الرواة انه كان لشغبه ابن يدعى حسين وقد شب حسين هذا دينا تقيا وكان يدرس القرآن الكريم فى احدى الخلاوى، وكان مجتهدا فى حفـظه، ولكن هذه الحال لم تعجب امه، فكانت تراه والخمول ندين فى الوقت الذى كانت تريـده محاربا شجاعا مثل بنى قومه فاطلقت شغبه قذيفة شعر اصابت ولدها فى صميم كبريائه.

أَريــتــك يَاحْـســينْ مَا أشـوفْ لُوحَـكْ مَعَـلّقْ
وُيُـومًــا كَاتـلنْ وُيُـومًــا مَفَـلّقْ
وُيُـومًــا فُوقْ ضَهَـرْ ألْ فى شَايْـتُـوْ غَلقْ
قَاعِـدْ لِى الزَّكَـا وَلَقْـطَ المَحَـلقْ

شرح المفردات:ـ

١ ـ اريتك: ياليتك. ٢ ـ مفلق: مضروب.
٣ ـ كاتلن: سارقها تعنى الابل.
٤ ـ ال فى شايتو غلق: سمن وقوى والشايه هى مكان لربط الجمل.

تقول شغبه لولدها انها لا تريده جالسا هكذا يمسك بلوح الخشب ليتعلم بل تريده بطلا مثل فرسان قومها يسوق امامه عشرات الابل المسروقة وهو مضروب تنزف من رأسه الدماء ويوما يركب على ظهر جمل حر سريع قوى.

وتسترسل شغبه فى إلهاب مشاعر ابنها حيث تقول:ـ

يَاَ حسـينْ انَـا مانـى أُمَّـكْ وُاتْ مَاكْ وَلَدى
بَطْـنَـكْ كَرَشْـت عَى الْبَـنـات نَاسى
وُدَقْـنَـكْ حَمَّـسَـتْ جِلْدَكْ خَرِشْ مَا فَى
لَاكْ مَضْرُوبْ بى حَدَّ الْسِّـيـفْ نكمِّـدْ فى
وَلَاكْ مَضْرُوبْ بِى لِسَـانْ الصِّـيـدْ نفَصِّـدْ فى

شرح المفردات:ـ

١ ـ بطنك كرشت: كبرت وتعنى ان الحب لم يضعف صحته.
٢ ـ نكمد فى: نداوى ونعالج بالمكمدات.

ويستجيب حسين لنداء امه سليطة اللسان فيرد عليها:ـ

مَحِـيـنَـاكْ يَا لُوحْ وَكَسّرْنَـاكْ يَادَوَايَـه
لِهَـيـجْ الْحُـمْ أحْـسَـنْ مِنْ الْقـرَايَـه
وَقَـلْـبْـتَ الشَّـدْ عَلى اللَّفَضْ التَّـنَـايَـه
ومـقَـالَبْـه الْبُـكَـارْ كَبْـدَ السّـحَـايَـه

شرح المفردات:ـ

١ ـ السحاية: المكان الذى ينبت فيه السحا وهو نبات تأكله الابل.

الشرح :ـ

يقول حسين لقد محونا اللوح وكسرنا الدواية، دليل على أنه قد ترك القراءة والتعليم وتفرغ لحياة الفروسية والنهيض لأنه فى هذه الحياة الجديدة يستطيع أن يتمتع بحديث البنات ويعيش حراً طليقاً مع جماله ونياقه.

ويحدثنا الرواة أن حسيناً فى احدى جولاته بحثا عن ابل الآخرين لنهبها وسرقتها رمت به الاقدار فى ديار الملك عجيب، «المانجلك» أحد ملوك السلطنة الزرقاء وكان حسين يملك جملاً رائعاً وسريعاً جداً، ولا تستطيع أسرع الجمال اللحاق به وخوفاً من ان يستولى عليه الملك فقد ذهب حسين لاحد «الفلاته» وعمل له الفلاتى عملاً جعل جمل حسين حقيرا لا يساوى قيمة حمار بل لقد أطلق عليه الناس اسم الحمير تصغيرا لشأنه، والعمل هو ما يكتبه الفقهاء من تمائم لجلب المنفعة أو الضرر على السواء.

خدم حسين الملك فترة طويلة من الزمن وأصبح مشرفاً على خيله وفضل البقاء فى ديار الملك عجيب لأنه وقع فى غرام احدى بناته الجميلات ويقال أنها كانت تبادله حبا بحب.

وعلم الملك عجيب بهذا الأمر فغضب غضباً شديداً ولكنه لم يكن يصدق أن ترتفع عين حسين لترى أبنته، وفى ذات يوم عندما كان حسين منهمكا فى تسريج احدى خيل الملك وكان الملك لسوء حظ حسين يقف خلفه رأى حسين فتاته خارجة من خبائها فزفر زفرة حارة من أعماقه وقال يخاطبها :ـ

يَادَغَسَاةَ العيُون بَلَا مِرْوَادْ
تَحَشْبِى حسينْ جَايِّ الحُصَان قَوَّاد

ولكنه أنتبه فجأة فرأى الملك خلفه فأستدرك فى ذكاء وقال :ـ
لكن مو كعب رفقاً مع اللجواد

شرح المفردات :ـ

١ ـ دغساة العيون : العيون السوداء.
٢ ـ مو كعب : ليس سيئا.
٣ ـ اللجواد : الكريم.

يقول لها حسين يا سوداء العيون بلا كحل هل ظننت أن حسيناً جاء إلى هنا وترك أهله وعشيرته وجماله ونياقه، ليعمل خادما لوالدك ويقصد أنه ما جاء هنا ورضى بهذا العمل الا من اجلها هى ومن أجل عيونها السود التى كحلتها يد الخالق وابدعت.

فهم الملك سبب وجوده هنا على حقيقته وحكم عليه بالقتل ولكن قبل أن ينفذ فيه حكم الاعدام سأله الملك عجيب عما إذا كان يريد تحقيق مطلب ما قبل أعدامه وفى ذكاء ابن البادية وسرعة بديهته طلب من الملك ان يسمح له بركوب جمله داخل تلك الزريبة التى تحفظ فيها الحيوانات فضحك الملك وحاشيته من هذا الطلب ولم يخطر بذهنه ان حسينا سوف يفلت من يده.

قبل الملك طلبه ودخل حسين زريبة الخيل وفك عمل «الفلاتى» وفى ذهول الحاشيـة والملك نفسه، قفز الجمل من فوق الزريبة وانطلق بسرعة لم تستطع خيل الملك اللحاق به وقد طاردته أسرع الخيل وعادت خائبة قد تقطعت انفاسها وعندما ضمته إرض البطانة الفيحاء الواسعة أبطأ فى سيره وأخذ يمدح جمله فيقول:ـ

يا ابْ ضَهَراً مِتلْ فَرَنيبَةٌ الشَّرَاكْ
يَا عَصَارْ سَبيبْ ضيلَكْ عَلى اللَّوْرَاكْ
الْعَزبَه بتكُوشَكْ وأمْ رهيط تَبْرَاكْ
رَبْدَاتْ النَّعَامْ فِيهَا الْعَجَزْ مَالاَكْ

شرح المفردات:ـ

١ ـ فرنيبة الشراك: شرك الصيد ٢ ـ يا عصار: يا من تعصر وتضغط.
٣ ـ ضيلك: ذيلك. ٤ ـ ربدات النعام: النعامة الربداء.

يقول حسين ان جمله الذى يشبه ظهره الشرك العالى الذى ينصبه الصيادون قد جرى بسرعة رهيبة وقد فشلت فرسا الملك المسميان بالعزبة وام رهيط ان تلحقا به، ويقارن بين سرعة جمله وسرعة النعامة الربداء وهى على الرغم من سرعتها الفائقة عاجزة ان تضاهى سرعة جمله والجدير بالذكر ان النعامة الربداء اسرع فى الجرى من غيرها.

يقول الشاعر:ـ

اسد على وفى الحروب نعامة
ربداء تجفل من صفير الصافر

اذن قد استطاع حسين ان يفلت من المك عجيب وحكمه عليه بالموت وذلك بفضل جمله السريع.

ويقول حسين مخاطبا جمله مبررا سبب وجوده فى ديار المك عجيب :ـ

مَانْ مِتِلْ وِدْ فريْـج برْعَـى الْبـقَـرْ بالمـدْ
وُهَـوىَ فى بتْ عجِـيـب كُولَةَ التَّـنـايـه النِّدْ
أهـلَكْ فِىَ أمْ شِديَـده يَا التَّـمـاغِـى القِّـدْ

شرح المفردات :ـ

١ ـ مان : لست.
٢ ـ ود فريج : شخص كان يرعى البقر مقابل بعض العطية.
٣ ـ هوى : حبى ٤ ـ كولة التنايه : الظبية.
٥ ـ القد : الرسن.

يقول انه ليس مثل ود فريج يعمل برعى البقر لقاء اجر بسيط ولكن سبب وجوده فى ديار المك هو حبه لتلك الفتاة التى وهبها كل قلبه والتى تشبه الظبية جمالا ورشاقة فيقول لجمله ان سنار ليست بلدتك وليس ساكنوها بأهلك وانما اهلك فى ذلك البلد المسمى ام شديده فحث الخطى للحاق بهم.

فيستمر حسين مخاطبا جمله فيصف له الطريق وهو يحادثه.

ديـكْ ريـره أمْ قلُوتْ مَكْـمَـنْ القـيـمَـانْ
وُدَاكْ حَجَـرْ الصِّـفَـيَّـة مقَـابـلْ الْغُـبْـشَـانْ
وُفُـوقْ حَدَبَـةْ كَشـيَـشـه بَقـرْقـرْ الِضَّـهَـلاَنْ
شَدَرَاتْ وَدْ كُوَّهَ فِيـهـنْ اَمْ قُرقُـدًا نَدْيَـانْ

شرح المفردات :ـ

١ ـ ديك : تلك ٢ ـ قلوت : صخور تجتمع فيها المياه ايام الخريف.
٣ ـ الغبشان : اسم مكان ٤ ـ حدبة كشيشة : اسم مكان أيضاً.
٥ ـ يقرقر : يصيح.. ٦ ـ الضهلان : الجائع والمعنى به هنا الضبع.

يقول لجمله تلك ريرة الشهيرة والتى توجد فى جبالها الصخور التى تختزن فى جوفها المياه وألتى كثيرا ما أختفى النهابون فى جبالها وكذلك تلك الصفية يقابلها ذلك البلد المسمى الغبشان، وتلك شجرات ود كوه حيث

تنزل تلك الفتاة الجميلة ذات الشعر الفاحم والنادى دائما وكأنه بذلك يريد أن يذكره بماضيه الزاهر قبل أن يترك ارض البطانة ويذهب بعيدا حيث رمت به الاقدار فى ديار ملوك سنار.

وصل حسين الى ديار قومه سالما ولكن الملك عجيب زاد حقدا عليه وعلى قومه فقد أستباح شرفه وأساء اليه إساءة بالغة لعلاقته مع إبنته، وهو لا يرقى لمستوى الملك بأى حال من الاحوال، ثم لهروبه منه فأرسل الملك عجيب رسوله الى قبيلة المرغماب يطلب منها ان ترد اليه حسين وان تدفع له الاتاوة وان تقدم له ولاء الطاعة. ولكنه كان يجهل تماما مدى قوة قبيلة المرغماب ومن ورائهم بنوا عمومتهم الكمالاب، فكان الرد كلمات بسيطة مليئة بالسخرية والاعتزاز بالنفس قالتها شغبة لرسول الملك عجيب:ـ.

قُولْ للْمَكْ عَجِيبْ مَا عْندَنَا لِيكْ الآتْ
بَرادَقْ وَدْ بَقيْع وَالْدّكَرى الْكَفَّاتْ
اَكلْنَا الْعَكه وَنَفْطُرْ عَلى نَبقَاتْ
دَقّتْ نُقَارَةْ الْبَرَكَاتْ
عَرَضُوا أوْلَادْ كَمَالْ جُوهَا الدُّبسْ قُتّاتْ

شرح المفردات:ـ

١ ـ الات: فلوس.
٢ ـ ود بقيع: اسم رجل يصنع الات الحرب من حراب وسيوف.
٣ ـ الدكرى: نوع من انواع السيوف.
٤ ـ الكفات: القاطع.
٥ ـ العكه: ثمر الدوم.
٦ ـ البركات: النصر.
٧ ـ الدبس: السود. وتعنى بهم قبيلة المرغماب.

تستنكر شغبه طلب الملك عجيب، وتقول له انهم لن يدفعوا له الاتاوة مهما كانت قوته وجبروته، وليس لديهم شىء يقدمونه له سوى الضرب بتلك السيوف القواطع والطعن بالحراب التى قام بصناعتها ذلك الرجل المسمى «ود بقيع» وان قومها شجعان يقضون يومهم فى ساحة الوغى بدون اكل بل تكفيهم ثمار الدوم والنبق ترياقا، حتى ينجلى غبار المعركة.

وعندما تدق نقارة حربهم تغنى دائما ان النصر لهم والهزيمة لغيرهم ثم تصور للملك عجيب فى تحد الحالة التى يجدهم فيها عندما يأتى لحربهم فسوف يجد صناديد وابطال قبيلة الكمالاب قد حضروا للموت مع

اخوانهم وبنى عمومتهم المرغماب والذين هم بدورهم جاءوا يسيرون فى مهـل الى ساحـة الموت وكلهم فرسان قد عرفتهم قبائل السودان قاطبة بالشجاعة والفروسية.

الا إن كثير من الناس يفهم كلمة «آلات» الواردة فى البيت على اساس انها تعنى الصلح ولكن المقصود بها الاتاوة اى الفلوس كما ورد فى الشرح.

وتحكى الروايـات ان حسيناً ولد شغبه عز عليه ان تدخل قبيلته فى حرب مع الملك عجيب، فرجع وسلم نفسهُ له خُوفا من ان يكون سببا فى قتل الابرياء وآثر ان يموت وحده ولعل اروع المشاهد واعظمها تأثيرا ان وقف حسين امام خادم الملك عجيب وخاطبه قائلا:-

الزَّيّـنْ مَا بفْسَـلْ وَالْفَسـلْ مَا بْزيـنْ
وَالجنس الرّخيصْ مَا بنْفَعُـو التَّحْسَـينْ
الدَّخَـلْ الْبـطونْ مَا بْتَقْطَعُـو السِّكِـينْ
يَا مَرجَـانْ نَعَـلْ نَاس بتْ عَجِيـبْ طَيْبـينْ

شرح المفردات:-

١ ـ الزين: الطيب عكس الفسل ٢ ـ نعل: لعل.

يخـاطب حسين خادم الملك المسمى «مرجان» فيقول له ان الشخص طيب الاصل لا يفقد الامل فيه، اما ذلك الذى لا اصل له فلا يرجى من ورائه خير. واما ما تجمع فى صدر الملك من حقد نحوى لا يمكن ان يمحى بسهولة، ولا اعتقد انه سوف يغفر لى زلتى، ثم يسأل مرجان خادم الملك عن حبيبته فهل هى بخير فلما سمع الملك عجيب بهذه الابيات عفا عنه وسامحه لشجاعته.

عندما سمعت شغبه بما قاله إبنها سرت سروراً عظيماً ليس لافلاته من الموت ولكن لشجاعته وبسالته ومدحته بأبيات جميلة اجادت فيها الوصف وأبدعت ايما إبداع فقالت:-

وَلَدى مُو دَبَـادبْ عِينـةْ أمْ بَشَّـارْ
صَدْرَ الْبـرزِمْ الَفيـه الْحِبُـرْ عَشَّـارْ
شِنْ بلدَ السُّـنُطْ غيرْ الدُّبَـاغْ الْحَارْ
جِيـدْ الْمَـا قَالوا تَخَـرَ الرَّمَـادْ النَّـارْ

شرح المفردات:ـ

١ ـ دبادب عينه ام بشاره: تقصد اول موسم الامطار.
٢ ـ صدر البرزم الفيه الحبر: تعني وسط الخريف والحبر نوع من الطيور.
٣ ـ الدباغ الحار: شجر السنط.

تقول شغبه ان ولدها عظيم القيمة وليس مثل ذلك المطر الذى ينزل فى بداية موسم الأمطار. بل أنه شبيه بذلك المنزل من منازل الخريف والذى تكثر فيه الأمطار ويبيض فيه الحبارى .. ثم تقول أن إبنها من أبوين عظيمين والحمد لله الذى جعل الناس لا يشمتون عليه ولا غرابة فى ذلك فهو إبن لشغبه ولذلك الفارس المسمى ود دقلش.

وتقول بعض الرويات ان احد ملوك سنار قد تمكن من اعتقال شغبه واخذها اسيرة الى سنار وهناك طلب منها ان تمكث معه ويبنى لها بيتا جميلا فردت عليه متهكمة:ـ

دُبْ بَيُوتَاً مَا فِيهِنْ أُمْ كَرَّابْ
رُوسِنْ قَشْ قعُورنْ فى الوَّطَى رُتَابْ
أهَلى يَا وليَدْ نَزَلُوا مَزَارْق الطَّابْ
عِزْ النَّاسْ أهَلَنَا اللآخَرينْ بتَّابْ

شرح المفردات:ـ

١ ـ ام كراب: سرج الجمل ويسمى بالمخلوفة.
٢ ـ الوطى: الارض.
٣ ـ مزارق الطاب: اسم مكان فى البطانة.
٤ ـ بتاب: بقايا قشور الحبوب.

تقول شغبة ساخرة منه ان هذه البيوت عليها اللعنة فهى لا تحوى فيما تحويه من سروج الجمال، كما ان رؤوسها من القش وجدرانها من الطين، ذلك لان شغبة لم تألف مثل هذه المنازل الحقيرة فى نظرها وتخاطبه بقولها «يا وليد» تحقيرا لشأنه وتذكره بأن أهلها ينزلون الآن فى أرض مزارق الطاب حيث الهواء الطلق، وحياة الحرية والسعادة الحقيقية فأهلها هم أشرف الناس، أما الآخرون فانهم مجرد نفايات لا ترقى الى معدنهم النقى الأصيل.

وتزداد آلام شغبه كلما مرت بها أيام تعيسة فى تلك البلاد التى لم

تأنس اليها فترسلها أنات موجعة وفى ملء كيانها صورة أهلها وذكريات منهم لا تموت وحنين لا يفتر الى حياتهم البدوية الخالصة تلك فتقول:

اللِّيلَه عَلى السَّافلْ بَشُوفلى سحَاب
وَيَا نُوحْ مَنْ فريقاً مَافيهُ شَدَّةْ أمْ كَرَّابْ
رَوسنْ قَشْ قَعُورنْ فى الوَطَى رَتَّابْ
خشُومنْ سُود وعَتَقُبْ بسُولنْ بَابْ
سَّكَانِنْ جُهُرْ وُمُلاحُنْ الْوِيكَابَ
يا دُوبْ لِى أمْ شَدِيدَهْ وُشَدَّةْ الخَبَّابْ

شرح المفردات :

(١) السافل : الشمال.
(٢) بشوفلى : أرى.
(٣) خشومن : مدخل الأبواب.
(٤) بسولن باب : يضعوا عليها أبواباً.
(٥) جهر : لا يرون ليلا.
(٦) ملاحن : طبخهم.
(٧) الويكاب : طبيخ يصنع من رماد القصب واللبن.
(٨) يا دوب : كلمة للتمنى.
(٩) أم شديده : مكان فى البطانة.
(١٠) الخباب : الجمل السريع.

تصف شغبه الحال التى تعيش فيها وحياة الذين تعيش معهم فى حسرة وتذكر أهلها فى كل ساعة. ففى هذه الليلة رأت شغبه سحبا كثيفة فوق مكان قومها وتتحسر على هذا المكان الذى حكم عليها بسكناها فيه وهو خال من أثر سرج لجمل، وهذه المنازل التى صنعت رؤوسها من القش وجدرانها من الطين ليس أمام ساحتها مايدل على الخير، وليس أمام أبوابها بقر أو إبل وهى سوداء تدل على الفقر والقحط وأهلها لشدة بخلهم مع كل مظاهر الفقر ووجوده أصلاً داخل هذه البيوت فانهم أيضاً يضعون لها أبواباً دليل بخلهم وكراهيتهم للضيف، ويأكلون الويكاب الذى لا يمكن لها ولا لأحد من قومها أن يجعله طعاما وتتمنى أن ترجع الى ديارها فى أم شديده حيث الخير الوفير والحياة السعيدة الرغدة.

وكان مع شغبه وهى بعيدة عن أهلها رجل يقال له «جهاد» فتتذكر أهلها معه وتقول فى شوق وحسرة:

حليلْنْ يا جِهَادْ فى قهبُونْ سَمُومْ ولاَ سَمَاهُنْ جَادْ
نَزلُوا فى الْبَابنُوتَه ورَبَّحُوا الْوُرَّادْ
وُكَربُوا غُرْدَةْ السَّابِلْ عَلى الشَّرَّادْ
عِيَالْ الْبيبْشَابْ الْبمِدَّوا الزَّادْ
فيهُنْ شكيلِيتْ جَنَّا حَمَّادْ
بِكْرِيَهُنْ عَلى صَفْ الدَّرَقْ بنْقَادْ

شرح المفردات :

(١) قهبون سموم : الجو الحار.
(٢) ولا سماهن جاد : أم نزلت عليهم الامطار.
(٣) البابنوته : مكان فيه حفير مائى.
(٤) كربوا : ربطوا.
(٥) الشراد : السريع النفور.
(٦) البيبشاب : فرع من فروع قبيلة المرغماب.
(٧) البمدوا : الزاد الكرماء.
(٨) شكيليت : أحد فرسان هذا الفرع.
(٩) البكرى : الشاب.

تعبر هذه الابيات تعبيراً صادقاً عن حنين شغبه الى أهلها وتسأل جهاد أتراهم مازالوا فى صيف لافح أم ان السماء جادت عليهم بخيرها أم تراهم نزلوا ذلك المكان المعروف بالبابنوتة ولم يتعب جالبو الماء فى قطع تلك المسافات الطويلة من أجلها؟ أم تراهم قد أسرجوا جمالهم وربطوا سرج النافر منها على ظهره وتذكر شكيليت ولد حماد الذى تعزه وتذكر أيضاً شجاعتهم كباراً وصغاراً، فهم والسيوف والدرق أصدقاء.

ولشغبه أشعار يمنع الحياء من ذكرها ولكن المتأمل فى حياتها لا يستغرب أن تقول هذه المرأة تلك الأشعار بتلك الألفاظ الجريئة، فقد عاشت مثل أى رجل آخر، ولم يتوج حياتها الحياء ولم تغلب عليها أنوثة.

ويقال ان ملك الفونج بعد أن فشل فى استمالة قلب شغبه، نفاها الى دنقلا، فلا نجزم بصحة هذه الرواية أو بطلانها ولكن على أية حال فان شعرها يثبت انها كانت فى دنقلا حيث تقول فى هذا الصدد:

اللّيـلـه هَبُـوبْ أهـلى مَلَتْ نَفَسى
ومِـنْ رَطَنـى الضَّـنـاقْـلَهْ واكْـتـير هَوَسِى
فَارَقْـتَ الحُـوارْ الْفِـى الشَّـبَـكْ رَفِسى
فَارَقْـتَ الْخَلْفَـه الْمِـسَـارِى وَالْجَـمَـلْ رَادِى

شرح المفردات :

(١) هبوب : نسمات.
(٢) ملت : ملأت.
(٣) نفسى : تنفسى.
(٤) رطنى : حديث غير عربى.
(٥) الضناقله : قبيلة الدناقلة.
(٦) الحوار : رضيع الناقة الصغير.
(٧) الشبك : كيس من الحبال يوضع بداخله رضيع الناقة الصغير.
(٨) الخلفه : الناقة التى بلغ رضيعها العام.
(٩) المسارى : السمينة.

يغالبها الحنين الى ديارها وأرضها المعطاءة الخضراء ونسماتها الحلوة اللطيفـة، وهى ضاقت ذرعـا بلغـة الدناقله التى لا تعرفها وتشعر عند سماعها بآلام مبرحة، وتذكر رضيع الناقة المحمول فى شبكة الحبال وهو يرفس محاولا التخلص منها، وتذكر نياقها السمان يلقحها الجمل فتلد ويستمر وجودها.

وتمـر شغبه فى آخر أيامها بظروف حياتية تعيسة فقد فارقت الاهل والاحبـاب وقطعان الجمال وحياة البادية التى أحبتها وأعزتها ونذرت نفسهـا لها. وتبقى لها ذكريات حبيبة تذكر قبيلتها أيام أن كانت تقوم الحروب بينهم وبين أعدائهم فتقول:

حلِيلْ الْبِـرْكَـبُـوا التِّـيسْ أبْ صَرِيـمَـه
وُحـلِيـلْ الْبِـنْـزلُوا حَدَبْ أمْ قضِـيـضِـيـمَـه
وُحَـلِيـلْ الْجَـاهِـلُنْ مَابْـدُور تَعْـلِـيـمَـه
حلِيـلَ الْبِـقْـطَعُـوا الشَّـكْ فى الْعَـزِيـمَـه
وَأَهَـلِ الْمُـرْغُـمَـابْ يَا دُوبَـه لِيَـهُـنْ دِيـمَـه

شرح المفردات :

(١) الصريمه : الرسن للجمل تقصد الجمال الهائجة.
(٢) حدب أم قضيضيمه : اسم مكان فى البطانة.
(٣) الجاهلن : صغيرهم.
(٤) العزيمة : الدعوة للأكل أو الشرب.

تقول شغبه كم اشتاق لأهلى أولئك الذين يركبون الجمال الحرة التى لا تقـاد بمقود وكم اشتاق لأهلى الذين ينزلون فى ربوع أم قضيضيمة الواسعة، وكم أشتاق الى أهلى الذين يفهمون ويعرفون الكثير لدرجة ان الطفل منهم لا يحتاج الى من يعلمه شيئا جديدا، أهلى أولئك الذين يلحون على ضيفهم فى دعواتهم ويحلفون ولا يرضون أن يتركهم بغير أن يأكل ويشرب، انهم أهلى المرغماب الذين أحن اليهم الى الأبد.

ولا نعـرف بالتحـديـد أين كانت شغبـةً عندما سطرت هذه الأبيات الجميلة التى صبت فى كلماتها كل أحاسيس الحب والود والشوق والحنين أننا نتصورها وقد أضناها الغم والألم وهى تذكر مراعيها ورعاتها وابلها وأهلها ولا تستطيع الوصول اليهم فتنظم جميل الكلام لتعبر عن مكنون صدرها الذى آلمه البعد والفراق.

تقول شغبه متذكرة أهلها أيضا :

حِلِيـلْ الْبـرْكَـبُـوا التِّيسْ الْبُـشـارى
وُحِلِيـلْ الْكَـمَشُّـوا الخَـلْفـه الْمُـسَـارَى
وُحِلِيلْ الْبِلْفَحُـوا التُّـوبْ الْعُشَـارى
وُحِلِيـلْ الْفِـى الْكـتَـالْ حَاكُـوا الهِـلَالِى

شرح المفردات :

(١) حليل : كلمة تقال فى التعبير عن الشوق.
(٢) التيس البشارى : الجمل نسبة لقبيلة البشاريين.
(٣) البلفحوا : الذين يلبسون الثوب.
(٤) العشارى : الذى يبلغ طوله عشرين ذراعا دليلا على طول قامتهم.

أين هم الذين يركبون الجمال البشارية المعروفة بسرعتها وقوتها؟ وأين هم الذين صرروا ضرع النيـاق ليشربوا من لبنها الحلو المذاق حتى لا يحـرمهم منـه صغارها؟ وأين هم أولئك الذين يلبسون ثوبا يبلغ طوله

العشرين ذراعا لأنهم طوال القامة أشداء عراض الأكتاف. أين هم أولئك الذين يبلون فى المعارك مثل ماكان يبلى أبو زيد الهلالى؟

وتقول أيضا:

حِليـلْ الْهُـوجْ قبِيـلْ زَمَـنْ اللَّعَـادى
حِليـلْ الشَرْفَـهُـنْ كَازَى الْبَـوادِى
حِليـلْ الْبـرْكَـبُـوا الْحَـافـرَ الْبـقَـادِى
وُحِـليـلْ الْمـخَـرَفُـنْ مِنْ الْكَـاهِـلى غَادِى

شرح المفردات:

(١) الهوج: لقب قبيلة المرغماب.
(٢) اللعادى: الأعداء.
(٣) الشرفهن: وجودهم.
(٤) كازى: غاظ.
(٥) الحافر البقادى: الفرس الأصيل.
(٦) المخرفن: المكان الذى يمضون فيه الخريف.
(٧) الكاهلى: مكان جنوب البطانة.

اختلف الرواة فى المكان الذى ماتت فيه شغبه فبعضهم يقول انها رجعت لبلادها مرة أخرى ولكننا وجدنا فى شعرها مايؤكد رجوعها ويقال انها رفضت الرجوع مع بعض أفراد قبيلتها حتى أتى لها رجال من احد فروع القبيلة الأخرى ورجعت معهم ويعرف هذا الفرع من قبيلة المرغماب بفرع الزماماب.

ولامها الأولون الذين ذهبوا اليها فلم ترجع معهم فردت عليهم بأبيات رصينة قائلة:

شَغَبَهْ مَاتْلُومُوهَا فِ كَلَامْ الْحَرْ
وُطَارْيَاهُنْ عَكَاكِيزْ الْبَحَرْ وَالْبَرْ
أَوْلَادْ أَبْ زُمَامْ البركبو اللَّشْقَرْ
النَّاسْ مِنْ خَيَالَاتُنْ جَمِيعْ تَنْصَرْ

شرح المفردات:

(١) كلام الحر : حديث الغضب أى انها غاضبة.
(٢) طارياهن : تتذكر.
(٣) عكاكيز : عصى.
(٤) خيالاتن : خيالاتهم.

تقول لا تلوموا شغبه فى الحديث الذى قالته وهى غاضبة، اننى أتذكر أهلى دعائم البر والبحر بشجاعتهم وقوة شكيمتهم أولاد أب زمام الذين يركبون الجمل الأشقر السريع القوى والذين هم اذا ذكر اسمهم أصاب الأعداء الوجل والخوف فيتداخلون فى بعضهم البعض خوفا منهم على أرواحهم.

ولشغبه شعر جميل فى وصف الطبيعة. تقول فى وصف الخريف:

أَدَنْدَحْ سَحَابْ شَغَبَه أَبْ قَمَاقْمَاً غُرْ
تَسْعَ أَيَّامْ لَيلُو وُنِهَارُو بَكُرْ
أَسْيَادْ الْخلى الْتِحْتَ السِّيُولْ بدُرْ
اتْعَشُو الْ قُوَا وُرَقُدُوا الضُّعَافْ بالضُرْ

شرح المفردات:

(١) أدندح سحاب شغبه : نزل قريبا من الارض.
(٢) قماقم : تعنى السحاب الأسود وقد انعكست عليه أشعة الشمس فظهر وكأنه فى قمته غرة من شدة بياضها.
(٣) بكر : يرعد.
(٤) الخلى : الناقة التى مات صغيرها.
(٥) القوا : الأقوياء.
(٦) رقدوا : ناموا.
(٧) اتعشوا : أكلوا العشاء.
(٨) أسياد : اصحاب.
(٩) بالضر : بألم الجوع.

تقول شغبه : اليوم وقد تكاثرت السحب حتى كادت أن تلامس الأرض لانها ثقيلة مليئة بالخير والنماء، وقد علت هاماتها الغر من أشعة الشمس التى انعكست عليها، واستمرت الأمطار تهطل لمدة تسعة أيام ليلها ونهارها واستمرت ترعد بلا انقطاع أو توقف. ثم تقول ان أهلها وهم أصحاب إبل كثيرة لبونة استطاعوا أن يجدوا بسهولة مايتعشون به من لبن نياقهم، أما الضعفاء الذين ليست لهم نياق ولا يستطيعون الحصول عليها فقد ناموا دون طعام والغبن يأكل صدورهم والجوع ينهش أحشاءهم.

وتصف شغبه تلك الليلة المطيرة التى ذاق فيها الناس الكثير من الآلام وعانوا ماعانوا فتقول:

العِيشْ فى الْقُرَافْ وَالنَّارْ طَفَاهَا السِّيلْ
وَاتْعَشُوا الْ قُوا وُرَقَدُوا الضُّعَافْ بالميلْ
قَامُوا لِىْ الْعَبِيدْ جَابُوا الْعُمَارْ بالكِيلْ
مِنْ جُمَّاماً فِى مَخَارِيقْ الْعُقُولْ هَادِيلْ

شرح المفردات :

(١) العيش : تقصد الذرة.
(٢) القراف : كيس من الجلد تحفظ بداخله الحبوب حتى لا يصيبها البلل.
(٣) العمار : مفردها عمره وهو إناء يستخدم فى حلب الابل.
(٤) جمام : هى الحفرة التى يوجد بها الماء على عمق قصير.
(٥) مخاريق : الموضع مابين رجلى الناقة الخلفية.
(٦) العقول : تعنى بها الابل الراقدة على الأرض والمعقولة بالعقال.

تقول شغبة لقد كان المطر غزيرا جدا ولم يكن هنالك مكان جاف وفى مثل هذا اليوم المطير لا يستطيع انسان أن يصنع طعاما، وكل الضعفاء ينامون وهم جياع، أما الأقوياء الذين لديهم إبل فانهم هم الذين ينامون وبطونهم مليئة بالطعام.

وتتحدث عن نفسها فتقول انها تملك عبيدا قاموا فى أثناء تلك الأمطار وأحضروا لها لبنا كثيرا وقد تدفقت مواعينهم من تلك النياق التى لا يجف ولا ينضب ضرعها. وتشبه ضرع الناقة بحفرة الجمام تلك الحفرة التى تعطى مياها وفيرة بالرغم من انها تحفر على عمق قليل.

وتصف شغبه ليلة من ليالى الخريف وقد اخضرت الأرض وكساها العشب والنماء فتقول:

اللِّيلـه عَلَى الْقبـلَه بَدَا الْبَـحَّـاتْ
وَالْحُـمْ كَجَّرَنْ بيتـن مِنْ الْنُقَّـاط
خَالفَ التِّـرْ وَرَا الْمَاصِيـع جَرَن قَاتَـات
كَاكَـا اركضَـت وَاتِـفَـالَت النَّـطَّاط
وُبَـارُوك القَـوايِـم فى المـواهـل عَاطْ

شرح المفردات :

(١) البحات : البرق الذى يلمع فى الشمال الشرقى.
(٢) الحم : الفتيات.
(٣) خالف التر : الناقة التى مر حول على ولادتها فتجرى وراء الذكر.
(٤) كاكا : الحبارة.
(٥) اركضت : جلست على بيضها.
(٦) اتفالت النطاط : بدأ السحاب يظهر واحدة تلو الأخرى.
(٧) باروك القوايم : ضعيفة القوائم التى لا تستطيع الوقوف عليها وتعنى بها الضفادع.
(٨) المواهل : أمكنة تجمع المياه «الحفائر» مفردها حفير.
(٩) عاط : صاح.

تقول شغبه لقد بدأ البرق يظهر من جهة القبلة «القبلى» وبدأت النساء يغطين مداخل بيوتهن خوفا من تلك الأمطار التى سوف تأتى لا محالة وجرت النياق وراء الذكور منها. كما جلست الحبارة على بيضها تغطيه وبدأت السحب تظهر فى الفضاء الواحدة تلو الاخرى فى مناظر جذابة، وبدأت الضفادع تصيح فرحة مستبشرة بالخريف الوفير ولقد أبدعت شغبه أيما إبداع فى وصف الطبيعة ورسمت لوحاتها ووشتها بأبدع ماقيل من ألفاظ شعبية.

ومدحت شغبه قومها كثيرا وافتخرت بهم كثيرا أيضا :

أوَل فى زَمَـاَن اللَّحَـرَاب
نَقـعُـد فى ضَرَى دَرَق الْجَـنَـا التِّـيَّـاب
أولَاد أُمَـات قنَـاعـاً مَانـطَرَن عَيَّـاب
بِى زَرقَ الْحَـسَادَه بِكَمِـلُوا الشِّـيَـاب

شرح المفردات :

(١) فى زمان اللحراب : زمن الحرب والضرب.
(٢) فى ضرى : فى حمى «فى ذرى».
(٣) الجنا : الشبان من فرسان قومها.
(٤) التياب : الذين تعاهدوا على عدم الهروب فى ساعة المعركة.
(٥) أمات قناع : غير مكشوفات الرؤوس والوجوه.
(٦) ماانطرن عياب : لم يذكرهن أحد بعيب.

تذكر شغبه ماضيها وزمن المعارك وتقول انها ونساء قبيلتها عندما يهاجم الاعداء القبيلة لا يخشين بأس هؤلاء الأعداء لأن فرسان قبيلتها الشبان الشجعان تعاهدوا على عدم الهروب فى المعارك لأنهم أولاد نساء عفيفات لا يعرفن العيب فهن مصونات.

وهى تقول أيضا :

أوَّل فى زَمَـان الحَـرَب
نَقـْعُـدْ فى ضَراهـنْ مَابِـنْـخَـاف السَّـلب
أوْلَاد أُمَـاتْ قُنَـاعـاً مَابِـنَـبِّـحْ كَلب
بِدَعْـكُـوا عَلِى الْحَـرْبَـه التَّـرِيـعْ القَـلبْ

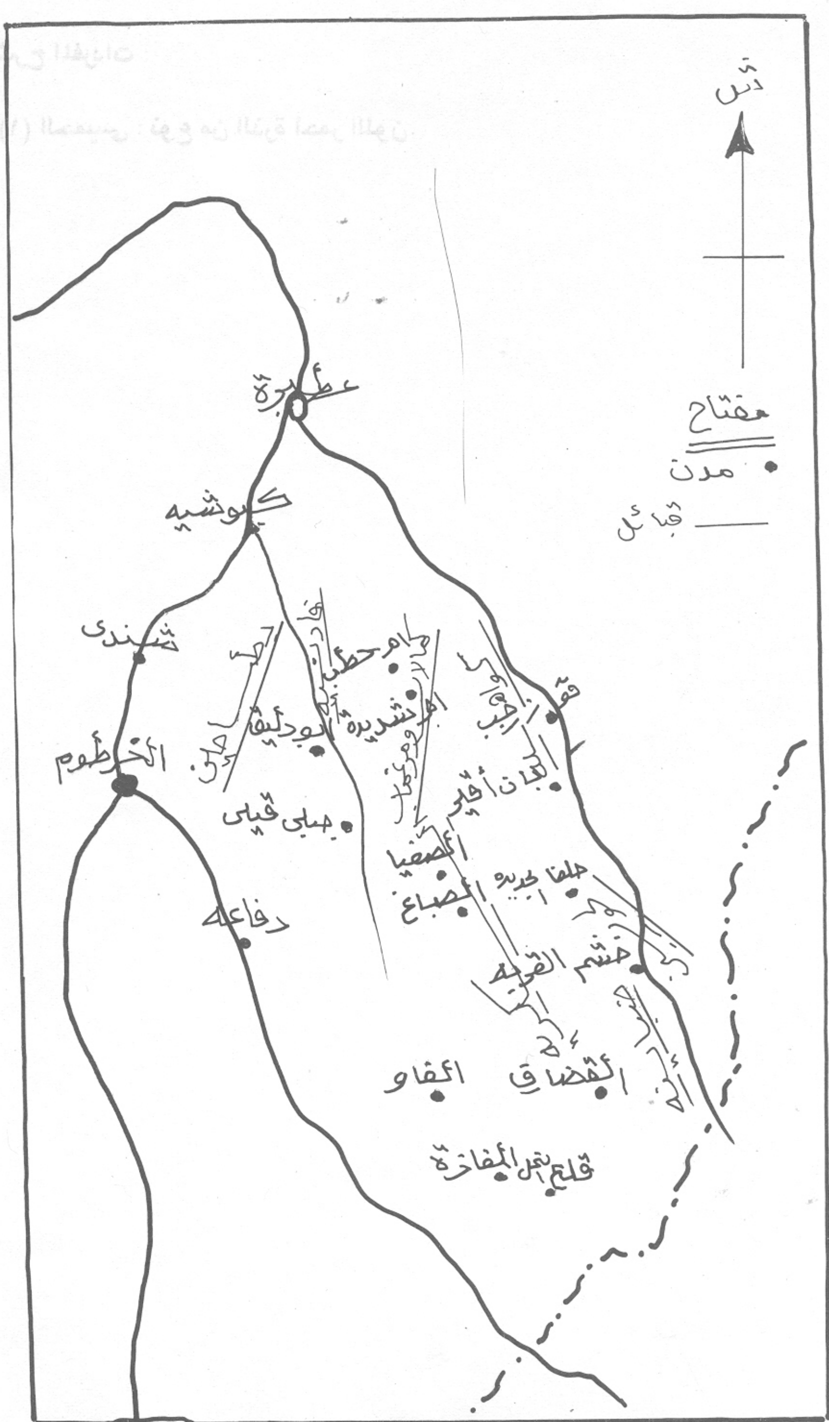
شرح المفردات :

(١) بدعكوا : يتسابقون على المعركة.

تقول اننا فى أيام المعارك لا نخاف أن يسلبنا أحد لأن فرساننا الأقوياء هم حماتنا. وتقول انها ونساء قبيلتها مقنعات محجبات ليس فى أخلاقهن شك، لا يحوم الغرباء حول منازلهن ولذا لا تسمع صوتا للكلاب تطارد غريبا، وهن أمهات فرسان لا يخافون الحراب مهما كان الموقف مريعا للقلوب.

وتقول فى ذات المعنى :

وَكـتـاً تَجِـيـنَـا اللَّحَـرَاب
بنكِـيـل الحِـمِـيسى وُنَـنـفُـض البُـتَّـاب
بِى زَرَق الْحَـسَـادَه بنكَـمِّـل الشِّـيَـاب
وُنَـرقُـدْ فِى ضَرَى دَرَقْ الجَـنَـا التِّـيَّـاب



خريطه توضح المدن والمواقع الهامه والقبائل بسهل البطانه

الفهرست

الباب :	الصفحة

